أمة تداعت عليها الأمم من كل فج عميق

التوحيد

مسابقة فضيلة الشيخ
صفوت نور الدين
رحمه الله

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◎ العدد ٥٥١ السنة السادسة والأربعون - ذو القعدة ١٤٣٨ هـ

الثمن ٣ جنيهات

مقاصد الحج

زيارة المدينة .. آداب أحكام

التربية على أكل الحلال واجتناب الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: يرجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

احذروا الغيبة

عند أهل السنة والجماعة أن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا. فهموا هذا المعنى من قول الله تعالى للأعراب لما قالوا: آمنا: « قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ »، فقال تكملة للآية: « وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (الحجرات: ٤١)، أي: أن الإيمان يتحقق بطاعة الله ورسوله، ومما يُطاع فيه الله ورسوله حول هذا المعنى أيضًا قوله عليه الصلاة والسلام: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِه وَلَمْ يَدْخُلْ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلمينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ». (رواه أبو داود: ٤٨٨٠).

فالمؤمن ناج من عذاب ربه، يدخل الجنة بسلام، والذي ضيَّع إيمانه بغيبة المسلمين لحقه الوعيد الوارد في تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاحذر يا أخي.

التحرير

مفاجأة كبرى

نتقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٥ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٥ سنة كاملة

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر	٢
أمة تداعت عليها الأمم من كل فج عميق: رئيس التحرير	٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي	٧
باب الاقتصاد: د. حسين شحاتة	٩
فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد	١٢
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي	١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
مسابقة فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين رحمه الله	٢٠
درر البحار: علي حشيش	٢١
وصايا للحجيج: عبده الأقرع	٢٣
زيارة المدينة.. آداب وأحكام: د. حمدي طه	٢٦
مقاصد الحج: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس	٣٠
قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب: د. عبد الرحمن بن صالح الجيران	٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي	٣٨
أصول الآداب وجوامع مكارم الأخلاق: د. عماد محمد علي عيسى	٤١
من روائع الماضي: حجة النبي صلى الله عليه وسلم: زكريا حسيني رحمه الله	٤٤
التربية على أكل الحلال واجتناب الحرام: د. عبد العظيم بدوي	٤٨
باب الأسرة: جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش	٥٣
قرائن اللغة والعقل والنقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
إدارة الغضب بين التقييم والتقويم: د. ياسر لمعي	٦١
نظرات في كتاب الترغيب والترهيب: محمد عبد العزيز	٦٤
صلح الحديبية بين الرأي والوحي: عبد الرزاق السيد عيد	٦٧
شبهات حول القراءات: د. أسامة صابر	٧٠

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد . محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد ، على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة ، باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

وجوب إحسان الظن بالله تعالى وأهميته

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن حُسن الظن بالله تعالى، وذكرت بعض الآيات الدالة عليه، وفي هذا اللقاء أواصل الحديث حول هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

إن المتتبع لآيات الذكر الحكيم يجد فيه إشارات متعددة ترمي إلى إحسان الظن بالله تعالى، والتطلع إلى عفوه ومغفرته، ومن ذلك الآيات الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله تعالى ومغفرته، وتفضله على عباده بمواسم الخيرات التي تفتح لهم باب الرجاء وتدفعهم إلى الإقبال على الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: « إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا » (النساء:٣١).

قال القاسمي رحمه الله: «إن تجتنبوا». أي: تتركوا كبائر ما تُنْهَون عنه؛ أي: كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها، مما ذُكر هنا ومما لم يُذكر، «نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ » (النساء:٣١) أي: صغائر ذنوبكم ونَمْحُها عنكم، وندخلكم الجنة، كما قال الله تعالى: «وندخلكم» في الآخرة «مدخلاً كريمًا» أي: حسنًا، وهي الجنة. وفي الآية: دليل على أن الصغائر تُكَفَّر باجتناب الكبائر، وردٌّ على من قال: إن المعاصي كلها كبائر وأنه لا صغيرة. (محاسن التأويل ١٢٠٦/٥).

ونظير هذه الآية في حسن الظن بالله قوله تعالى: « قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ» (الزمر:٥٣).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جمعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة؛ لأن الشرك لا يُغفر إلا لمن يتوب منه».

ثم ساق ابن كثير حديث البخاري عن ابن عباس

وفيه: «أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ» (الفرقان:٦٨)، ونزل: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» (الزمر:٥٣). (تفسير ابن كثير ٧٥/٤).

وقد كان السلف رحمهم الله تعالى يفرحون ويستبشرون بالآيات الدالّة على فضل الله وجوده ورحمته، وكانت تدفعهم إلى حسن الظن بالله تعالى، ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خمس آيات في سورة النساء لهن أحب إليَّ من الدنيا جميعًا: «إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» (النساء:٣١)، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» (النساء:٤٠)، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» (النساء:٤٨)، وقوله تعالى: «وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء:١١٠)، وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء:١٥٢)». (تفسير عبد الرزاق ٤٤٩/١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٠٥/٢).

وقد ذكر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أولاهن: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (النساء:٢٦)، والثانية: «وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا» (النساء:٢٧)، والثالثة: «يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا» (النساء:٢٨)، ثم ذكر قول ابن مسعود سواء». (تفسير ابن جرير ٣٠/٥).

ومن الآيات التي يستدل بها على حُسن الظن بالله تعالى وكريم عفوه: ما جاء في قوله تعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور:٢٢)، ووجه دلالتها على ذلك: أنها أفادت أنَّ كبائر الذنوب لا تحبط الأعمال الصالحة، لأن مسطح رضي الله عنه الذي قذف أم المؤمنين عائشة كان من المهاجرين، وهجرته من الأعمال الصالحة، وقذفه لأم المؤمنين من الكبائر، وقد أثبت الله له الهجرة بعد قذفه لها، وذلك في قوله: «وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (النور:٢٢)، قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرًا لا يُحبط الأعمال؛ لأن الله تعالى وصف مسطحًا بعد قوله بالهجرة والإيمان، وكذلك سائر الكبائر، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله، قال الله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» (الزمر:٦٥)». (تفسير القرطبي ٤٦٠٠/٧).

وقد ذكر القرطبي عن بعض العلماء أنهم قالوا: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى، من حيث لطف الله بالقَذَفَة العصاة بهذا اللفظ.

وقد تعرَّض العالم القرآني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لهذه الآية، وأشار إلى كلام القرطبي السابق، ثم قال كلامًا نفيسًا يشرح الصدر حول أرجى آية في كتاب الله، فقال: «من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر:٣٢-٣٤)، فقد بيَّن الله في هذه الآية الكريمة أن

إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب دليل على أن الله اصطفاهم في قوله: « ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » (فاطر:٣٢)، وبين أنهم ثلاثة أقسام: الأول: الظالم لنفسه، وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أيضًا فهو الذي قال الله فيه: « خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ » (التوبة:١٠٢)، والثاني: المقتصد، وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات، والثالث: السابق بالخيرات، وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات، ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة، وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق.

ثم إنه تعالى بيّن أن إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير منه عليهم، ثم وعد الجميع بجنات عدن، وهو لا يُخلف الميعاد في قوله: « جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا » (الرعد:٢٣)، إلى قوله: « وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » (فاطر:٣٥)، والواو في «يدخلونها» شاملة للظالم، والمقتصد والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: "حُقَّ لهذه الواو أن تكتب بماء العينين"، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، وهذا يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق أحد من المسلمين خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين. (أضواء البيان ٦/١٦٤، ١٦٥).

وقد ذكر الحافظ ابن كثير قصة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبين كيفية التعامل والنظر إلى العصاة وترغيبهم في عفو الله، وفيها يقول: «كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يَفِدُ إلى عمر بن الخطاب فَفَقَدَهُ عمر، فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين يتابع في الشراب، قال: فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان، سلام عليك، أما بعدُ: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير». ثم قال: لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه، وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي». رواه الحافظ أبو نعيم، وزاد فيه: «فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر رضي الله عنه خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخًا لكم زلَّ زلة فسددوه ووفقوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه». (تفسير ابن كثير ٤/٩١، ٩٢).

وقد اشتمل القصص الوارد في القرآن الكريم عن الأنبياء والمرسلين على بيان إهلاك الله للكافرين والمكذبين وإنجائه لأوليائه المؤمنين، وهذا يدفع إلى التوكل على الله وحسن الظن به، ويجعل المؤمن على يقين بأن النصر للمؤمنين والعاقبة للمتقين، قال الله تعالى: « وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ » (هود:١٢٠)، قال البغوي في معنى الآية: «وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصُّها عليك لنثبت به فؤادك، لنزيدك يقينًا ونقوي قلبك». (معالم التنزيل: ٢/٤٠٧).

وقد أثنى الله على نفسه لإهلاكه الظالمين، وتأييده لعباده الصالحين، فقال رب العالمين: « فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (الأنعام:٤٥)، ولذلك أقول: يجب على المسلم إحسان الظن برب العالمين، والثناء عليه سبحانه لإهلاكه الكافرين، والحمد لله رب العالمين.

وللحديث صلة بإذن الله تعالى.

أمةٌ تداعت عليها الأمم من كل فج عميق

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي جعل قوة هذه الأمة في إيمانها، وعزها في إسلامها، والتمكين لها في صدق عبادتها لربها وتمسكها بدينها القويم، وبعدُ؛ فإن مآسي أمتنا كثيرة، وجراحاتها مؤلمة وغائرة، ومعاناة المسلمين تطفو على السطح في كل بقعة من تراب الأمة، تفتت أوصالها، وتخرب ديارها، وتشعل الفتن فيها، وما ذاك إلا مصداق ما ذكره نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم؛ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله! وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». (رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وصححه الألباني. والقصعة: وعاء يؤكل فيه، وكان يتخذ من الخشب غالبًا. والغثاء: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره. والوهن: فسّره النبي صلى الله عليه وسلم بحب الدنيا وكراهية الموت).

وتتوالى الضربات التي توجه للمسلمين، فقد منعت سلطات الاحتلال الصهيوني المسلمين من صلاة الجمعة ٢٠ شوال ١٤٣٨هـ في المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، في سابقة خطيرة لم تحدث منذ أكثر من ثمان وأربعين سنة، في ظل الصمت والانشغال عما يقع في كل قطر عربي وإسلامي، ودون أن تحرك الأمة ساكنًا.

وتتبارى الدول الكبرى في تحقيق أهدافها وطموحاتها، ومن أجل ذلك تتغير المواقف وتتبدل حسب مصلحة كل دولة، وتدخل أمريكا وروسيا في لعبة تقسيم المصالح، وتلهث كل من إيران وتركيا في لعب دور إقليمي ناهيك عن الدور الأوروبي في كل مناطق الأحداث، ويد الإرهاب الغاشم لا تزال تضرب في كل مكان في محاولة لزعزعة أمن تلك البلاد، أباحوا لأنفسهم كل وسائل الغدر والخيانة، ويسقط الكثير من أبناء الوطن ضحية لعمليات الغدر في عمليات إرهابية متكررة على يد القتلة مستبيحي الدماء، وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

منع المسلمين من صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى

إن هذه الغثائية التي أصابت الأمة والوهن الذي دبَّ في أوصالها مع كثرة عددهم وقلة أثرهم، وأعطى الفرصة

لأعدائهم في النَّيل منهم، مما جعل الكيان الصهيوني يتغوَّل في تطرُّفه واستهانته بعقائدهم وشعائرهم، حتى وصل بهم الأمر إلى منع إقامة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى لأول مرة منذ ثمانية وأربعين عامًا، حتى أدى المصلون صلاة الجمعة بالقرب من باب الساهرة؛ أحد أبواب البلدة القديمة المؤدية إلى المسجد الأقصى المبارك ومدينة القدس المحتلة.

ومنعت سلطات الاحتلال مفتي القدس وفلسطين الشيخ محمد حسين من دخول المسجد الأقصى المبارك، ثم قامت باعتقاله بعد الاعتداء عليه، على خلفية دعوته لعدم الانصياع لقرار قوات الاحتلال الإسرائيلي بمنع صلاة الجمعة في الأقصى المبارك.

كما قامت باحتجاز حراس المسجد الأقصى، واستولت على هواتفهم.

وكان الشيخ محمد حسين قد دعا إلى عدم إقرار سياسة الاحتلال الإسرائيلي بمنع إقامة صلاة الجمعة والصلوات في الأقصى.

فاللهم أنت المنتقم الجبار، وحسبنا الله ونعم الوكيل، إلى هذا الحد وصلت المهانة للمسلمين بمنع إقامة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك؟!

نسأل الله أن يرفع الغمة عن هذه الأمة.

أكلت يوم أكل الثور الأبيض

أمر ربنا جل جلاله الأمة المسلمة بأن تكون يدًا واحدة، عَصية على الكسر، مبتعدة عن الفرقة، بعيدة عن الانقسامات والتحزبات، فقال تعالى: «وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» (آل عمران:١٠٣)، وحذر سبحانه من الفرقة والاختلاف، فقال: «وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» (الأنفال:٤٦).

وأمر الله تعالى عباده بالإصلاح بين المتخاصمين من أبناء الأمة أفرادًا وجماعات، فقال سبحانه: «وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا» (الحجرات:٩).

وإن ما تشهده الساحة العربية في الآونة الأخيرة من انقسامات بغيضة لنذير شؤم على الأمة، وينبغي لعقلاء الأمة أن يتداركوا هذا الاختلاف قبل أن يتسع الخرق على الراقع؛ منعًا لتدخل الأعداء في قضايا الأمة لينفذوا مخططاتهم الرامية إلى تفريق المسلمين وإضعافهم.

والعبرة المستفادة من هذه الأحداث ممتدة على مر الزمان، ألا وهي أن الفُرقة والاختلاف في الرأي تُضعف الأفراد وتكسرهم، وتُمكِّن الأعداء وتحقق لهم مآربهم.

فالفُرقة والتحاسد والتباغض والعداء أمور منهيٌ عنها، وما ينهى ديننا الحنيف عن شيء إلا وهو شرٌ للبشرية، والخير كل الخير في اتباع شريعة الله، وما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم ونبذ الشقاق والفُرقة.

قبل أن تغرق السفينة

إن كل فرد من أفراد أُمتنا المسلمة عليه واجب الذَّود عن حماها؛ بأن يقوم بما وجب عليه من الطاعة، وألا يغرق في مستنقعات الشهوات، فلا ينبغي لعبد عاقل أن يحيد عن الحق في أوقات الشبهات والفتن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». (رواه مسلم: ١١٨).

نسأل الله السلامة والعافية.

أحداث يرفضها الإسلام

وما يحدث على أرض مصر من قتل للأبرياء، واستباحة للدماء في حوادث إرهابية يروح ضحيتها أفراد من أبناء مصر بأيدي مَن استباحوا الدماء دون وجه حق، أمر مرفوض يندى له الجبين، ويتألم له كل صاحب ضمير.

والقتل جريمة منكرة في الشرع، فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ». (رواه ابن ماجه: ٢٦١٩).

وهذه الفتن وكثرة الهرج هي ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلاَ يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ» (رواه مسلم: ٢٩٠٨).

نسأل الله أن يجمع شملنا وقلوبنا على طاعته، وألا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، فاللهم احفظ مصر وشعبها وجيشها من كل مكروه وسوء، ورد كيد أعداء مصر في نحورهم، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ الأَحْقَافِ

الحلقة الثانية عشرة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: «وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢٨) وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ» (الأحقاف: ٢٦- ٢٩).

بَيَّنَ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أنَّ الْخَلَفَ أَضْعَفُ مِنَ السَّلَف، فَلَنْ يُعْجِزُوا الله تَعَالَى فقَالَ سُبْحَانَه: «وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ» يعني عَادًا الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ «فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيه» يَعْنِي مَكَّنَّاهُمْ في أَشْيَاءَ لَمْ نُمَكِّنْكُمْ فِيهَا، فَهُمْ كَانُوا أَقْوَى مِنْكُمْ، وَأَشَدَّ بَأْسًا، وَأَقْوَى عُدَّةً، وَأَكْثَرَ عَدَدًا، وَمَعَ ذَلِكَ أَهْلَكَهُمُ الله، فَكَيْفَ بِكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الضُّعَفَاءُ؟! كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ» (غافر: ٢١)، وَقَالَ تَعَالَى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ» (غافر: ٨٢).

«وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً» لكَيْ يَسْمَعُوا الْحَقَّ، وَيَرَوْا آيَاتِه، وَيَتَدَبَّرُوا فِيمَا يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ مِنْ آيَاتِ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِسَمْعِهِمْ وَلَا أَبْصَارِهِمْ وَلَا قُلُوبِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ» وَالْعِلَّةُ أَنَّهُمْ «كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله» وَلَا يُصَدِّقُونَ بِهَا، وَلَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ رُسُلَهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا بَلَّغُوا عَنِ الله سُبْحَانَهُ.

«وَحَاقَ بِهِمْ» أَيْ وَأَحَاطَ بِهِمْ «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» مِنْ عَذَابِ الله، حَتَّى أَنَّهُمُ اسْتَعْجَلُوهُ.

ثُمَّ يُلْفِتُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْظَارَ قُرَيْش إِلَى مَصَارِعِ الْهَالِكِينَ مِنَ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَهَذِهِ عَادٌ في الْيَمَنِ، في الْجَنُوب، وَهَذِهِ ثَمُودُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ في الشَّام، «وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِٱلَّيْلِ» (الصافات: ١٣٧- ١٣٨) فَاحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، يَقُولُ تَعَالَى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» فَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا، وَلَمْ يُقْلِعُوا عَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَان، «فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ» (غافر: ٢١).

«فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله قُرْبَانًا آلِهَةً» أَيْ هَلَّا نَصَرَتْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي تَقَرَّبُوا بِهَا بِزَعْمِهِمْ إِلَى الله لِتَشْفَعَ لَهُمْ حَيْثُ قَالُوا: «هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ» (يونس: ١٨)، وَمَنَعَتْهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ الْوَاقِعِ بِهِمْ. (الجامع لأحكام القرآن: ١٦/٢٠٩).

«بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» أَيْ غَابُوا عَنْهُمْ، وَفَقَدُوهُمْ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُمْ، «وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ» أَيْ: كَذِبُهُمْ «وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أَيْ وَافْتِرَاؤُهُمْ في اتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُمْ

آلهة، وَقَدْ خَابُوا وَخسرُوا فِي عبادَتهمْ لَهَا وَاعْتمَادهمْ عَلَيْهَا. (تفسير القرآن العظيم: ٤/١٦٢).

عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم للجن والإنس:

منْ عَقيدَتنَا أَنَّ نَبيَّنَا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم مَبْعُوثٌ إلَى عَامَّة الْخَلْق وَكَافَّة الْوَرَى، مَبْعُوثٌ إلَى الْجنِّ وَالإنْس، وَهَذَا منْ خَصَائصه صلى الله عليه وسلم.

عَنْ جَابر بْن عَبْد الله رَضيَ الله عنه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُعْطيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي: نُصرْتُ بالرُّعْب مَسيرَةَ شَهْر، وَجُعلَتْ ليَ الأَرْضُ مَسْجدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُل منْ أُمَّتي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحلَّتْ ليَ الْغَنَائمُ وَلَمْ تَحلَّ لأَحَد قَبْلي، وَأُعْطيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إلَى قَوْمه خَاصَّةً، وَبُعثْتُ إلَى النَّاس عَامَّةً». (صحيح البخاري ٤٣٥).

وَفي أُولَى الآيَات السَّابقَة يَذْكُرُ الله تَعَالَى أَنَّهُ صَرَفَ إلَى نَبيِّه صلى الله عليه وسلم نَفَرًا منَ الْجنِّ فَاسْتَمَعُوا لَهُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بهمْ، فَأَمَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ يُحْسنُوا الاسْتمَاعَ للْقُرْآن الْكَريم، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم منْ قرَاءَته آمَنُوا به وَبمَا سَمعُوا منْهُ، ثُمَّ رَجَعُوا إلَى قَوْمهمْ دَاعينَ إلَى الإيمَان بالله وَبرَسُوله وَبمَا أَنْزَلَ الله عَلَى رَسُوله:

«وَإذْ صَرَفْنَا إلَيْكَ نَفَرًا منَ الْجنِّ يَسْتَمعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصتُوا فَلَمَّا قُضيَ وَلَّوْا إلَى قَوْمهمْ مُنْذرينَ»

عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم في طَائفَة منْ أَصْحَابه عَامدينَ إلَى سُوق عُكَاظ، وَقَدْ حيلَ بَيْنَ الشَّيَاطين وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، وَأُرْسلَتْ عَلَيْهمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَت الشَّيَاطينُ، فَقَالُوا مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا حيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، وَأُرْسلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ. قَالَ: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء إلاَّ مَا حَدَثَ، فَاضْربُوا مَشَارقَ الأَرْض وَمَغَاربَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذي حَدَثَ. فَانْطَلَقُوا فَضَربُوا مَشَارقَ الأَرْض وَمَغَاربَهَا يَنْظُرُونَ مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء. قَالَ: فَانْطَلَقَ الَّذينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تهَامَةَ إلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بنَخْلَةَ، وَهُوَ عَامدٌ إلَى سُوق عُكَاظ، وَهُوَ يُصَلِّي بأَصْحَابه صَلاَةَ الْفَجْر، فَلَمَّا سَمعُوا الْقُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء. فَهُنَالكَ رَجَعُوا إلَى قَوْمهمْ فَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إنَّا سَمعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدي إلَى الرُّشْد فَآمَنَّا به، وَلَنْ نُشْركَ بربِّنَا أَحَدًا. وَأَنْزَلَ الله عزوجل عَلَى نَبيِّه صلى الله عليه وسلم «قُلْ أُوحيَ إلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ منَ الْجنِّ» (الجن: ١)، وَإنَّمَا أُوحيَ إلَيْه قَوْلُ الْجنِّ. (صحيح البخاري ٤٩٢١).

فَهَؤُلاَء النَّفَرُ اسْتَمَعُوا إلَيْه صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَشْعُرْ بهمْ حَتَّى أَخْبَرَهُ الله تَعَالَى.

«وَإذْ صَرَفْنَا إلَيْكَ نَفَرًا منَ الْجنِّ يَسْتَمعُونَ الْقُرْآنَ» مَعْطُوفٌ عَلَى «وَاذْكُرْ أَخَا عَاد»، فَالله تعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُذَكِّرَ قَوْمَهُ بمَا أَصَابَ قَوْمَ عَاد لَمَّا عَصَوْا أَخَاهُمْ هُودًا ليَحْذَرُوا أَنْ يُصيبَهُمْ مثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ عَاد إذْ كَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهمْ، ثُمَّ قَالَ الله لَهُ: «وَإذْ صَرَفْنَا إلَيْكَ نَفَرًا منَ الْجنِّ يَسْتَمعُونَ الْقُرْآنَ» أَيْ وَاذْكُرْ لقَوْمكَ إذْ صَرَفْنَا إلَيْكَ نَفَرًا منَ الْجنِّ مَعَ كَوْنهمْ منْ جنْس غَيْر جنْس رَسُول الله، فَرَسُولُ الله إنْسيٌّ بَشَريٌّ، وَهَؤُلاَء نَفَرٌ منَ الْجنِّ، فَالْجنْسُ مُخْتَلفٌ، وَاللُّغَةُ أَيْضًا مُخْتَلفَةٌ، وَمَعَ ذَلكَ لَمَّا حَضَرُوا الْقُرْآنَ أَحْسَنُوا الاسْتمَاعَ إلَيْه وَآمَنُوا به وَصَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوهُ، بَيْنَمَا كَفَرَتْ قُرَيْش، مَعَ أَنَّ رَسُولَ الله منْ أَنْفُسهمْ، وَلُغَتُهُ لُغَتُهُمْ، فَفي هَذَا تَقْريعٌ وَتَوْبيخٌ لقُرَيْش، إذْ كَفَرُوا بمَا جَاءَ به رَسُولُ الله في حين آمَنَ به نَفَرٌ منَ الْجنِّ، «فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصتُوا» أَي اسْتَمعُوا، وَهَذَا منَ الأَدَب الْوَاجب مَعَ الْقُرْآن الْكَريم، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: «وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الأعراف: ٢٠٤).

«فَلَمَّا قُضيَ»، وَفي قرَاءَة بفَتْح الضَّاد للْبنَاء للْمَعْلُوم، عَلَى أَنَّ الْفَاعلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَالْمَعْنَى فَلَمَّا قَضَى أَيْ فَرَغَ رَسُولُ الله منْ قرَاءَته، وَعَلَى الْقرَاءَة الأُولَى «فَلَمَّا قُضيَ» أَي الْقُرْآنُ وَفُرغَ منْهُ «وَلَّوْا» أَيْ أَدْبَرُوا وَرَجَعُوا «إلَى قَوْمهمْ مُنْذرينَ»، وَالْمُنْذرُ هُوَ الْمُخَوِّفُ، وَالإنْذَارُ هُوَ الإعْلاَمُ الْمَصْحُوبُ بالتَّخْويف، وَإنَّمَا يُنْذَرُ مَنْ كَانَ عَلَى شَرٍّ، مَنْ كَانَ عَلَى مَعْصيَة، مَنْ كَانَ عَلَى ضَلاَلَة، مَنْ كَانَ عَلَى كُفْر، وَالْجنُّ كَانُوا كَذَلكَ، وَلذَلكَ رَجَعُوا إلَيْهمْ مُنْذرينَ، وَلَمْ يَقُلْ مُبَشِّرينَ، لأَنَّهُ لاَ يُبَشَّرُ إلاَّ مَنْ كَانَ عَلَى خَيْر، وَالْجنُّ قَبْلَ إسْلاَمهمْ كَانُوا عَلَى شَرٍّ، فَكَانُوا مُسْتَحقِّينَ للنِّذَارَة لاَ للْبشَارَة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

المال في النظام الاقتصادي الإسلامي

إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: في هذا العدد نتحدث عن عنصر المال وأهميته ودوره في الاقتصاد الإسلامي، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

مفهوم المال في النظام الاقتصادي الإسلامي:

يقصد بالمال كل شيء يملكه الإنسان، ويكون له قيمة بين الناس، ويجوز الانتفاع به شرعاً.

ويشترط فقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي في الشيء حتى يكون مالاً ما يلي:

أن يكون الشيء له قيمة مادية أو معنوية.

أن يكون للشيء منفعة مشروعة.

أن يتملكه الإنسان ويستطيع الانتفاع به، أو بيعه، أو التصرف فيه.

وتأسيساً على ذلك يخرج من نطاق المال أي شيء ليس له قيمة أو منفعة معتبرة شرعاً مثل الخمر أو لحم الخنزير وغيرها من الأشياء التي حرمتها الشريعة الإسلامية، وكذلك يخرج منه جميع المباحات مثل السمك في البحر والطير في السماء والهواء.

أنواع المال في الاقتصاد الإسلامي:

هناك تقسيمات مختلفة للمال في الاقتصاد الإسلامي من أكثرها شيوعًا واستخدامًا (والتي سوف نركز عليها في هذا المقام) تقسيم المال إلى عروض ونقود (أثمان)، وهو على النحو التالي:

أولاً: العروض: ويقصد بها كل شيء ملموس ما عدا النقود سواء كان عقارًا أو منقولاً، أو كان ثابتًا أو متداولاً ومن أمثلة ذلك: الخامات والمنتجات الزراعية والصناعية وما في حكم ذلك، وهي تقسم بدورها إلى:

أ- عروض القُنية (الأصول الثابتة)، وهي المعدة للاستخدام والانتفاع بعينها، وليس لغرض التجارة أو الاستثمار، ويطلق عليها في الفكر الاقتصادي المعاصر مصطلح: الأصول الثابتة، وقد تستخدم في التصنيع أو في تقديم الخدمات، ومن أمثلة عروض القنية: العقارات، والآلات والمعدات، والأجهزة، والسيارات، والأثاث.

ب- عروض التجارة، وهي المعدة للبيع بقصد تحقيق الربح، أي هي موضوع عملية التجارة، وتتقلب من شكل إلى آخر منها البضاعة والتي تتغير بالبيع إلى نقود أو مديونية، ثم يُشترى بالنقود بضاعة أخرى، وهكذا تدور الدورة التجارية.

وتنقسم كل من عروض القنية والتجارة إلى ما يبقى عينه بالاستعمال، أي السلع والخدمات التي تستهلك منفعتها مع بقاء الأصل، مثل المعدات والحيوانات المدرة للبن وخدمات المعلم. وما لا تبقى عينه بالاستعمال، أي أنها تستهلك تمامًا مثل الوقود والخامات والسلع الوسيطة والطعام.

ثانياً: النقود: وتعرف بأنها وسيلة عامة للمبادلات، ولقياس القيمة، ولاختزان الثروة والادخار. وتنقسم بدورها إلى: نقود مطلقة مثل الذهب والفضة، ونقود مقيدة مثل أوراق البنكنوت (الورقية) وكذلك الأوراق المالية، وشهادات الاستثمار والصكوك وما في حكم ذلك.

مفهوم رأس المال وعائده في الاقتصاد الإسلامي:

يقصد برأس المال في الاقتصاد الإسلامي بأنه أصل المال المخصص أو المرصد للتشغيل (الاستثمار) في أي مشروع عند بدايته سواء كان هذا المال في صورة نقدية أو عينية أو في صورة ثابتة أم متداولة، أي أنه لا يستخدم في الاستهلاك مباشرة، يقول الله تبارك وتعالى: «وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ» (البقرة:٢٧٩).

ويضم رأس المال بدوره رأس المال الثابت، والمتداول أو العامل.

ويدور رأس المال

المتداول (ويمثل الموجودات لدى المنشأة بغرض التداول والتحول إلى نقود) دورته في النشاط بالحركة والتقليب، فمثلاً تستبدل الأموال النقدية بالعروض سواء كانت عروض قُنية، أو عروض تجارة، وبعد فترة التشغيل والتداول تحول عروض التجارة إلى نقود، وهكذا تحدث دورة تشغيل رأس المال، وفي كل دورة قد يحدث نماء ويطلق عليه ربحًا تجاريًا، أو قد يحدث انخفاضًا، ويطلق عليه خسارة، ولذلك فإن الربح أو الخسارة هما نتيجة التقليب والمخاطرة.

موقف الاقتصاد الإسلامي من نظام الفائدة على رأس المال:

من المفضل قبل تناول موقف الاقتصاد الإسلامي من مفهوم الفائدة على رأس المال التعرض لمفهومها في الفكر الاقتصادي الوضعي حتى يتسنى لنا بيان موقف الاقتصاد الإسلامي من ذلك، ثم بيان صلاحية مفاهيمه ومبادئه للتطبيق في مجال الاقتصاد الإسلامي.

ومن يحلل ويقيم ما كتبه علماء الاقتصاد الوضعي عن موضوع الفائدة على رأس المال ليجد هناك اختلافًا كثيرًا في الرأي، فليس هناك مفهوماً واحداً بل عدة مفاهيم، وليس هذا هو مجالنا للخوض في ذلك ويكفينا أن نناقش أكثر تلك المفاهيم عمومية وتطبيقاً.

مفهوم معدل الفائدة كمعيار لتكلفة رأس المال في الفكر الاقتصادي الوضعي:

يقضي هذا المفهوم بأن تكلفة رأس المال تتمثل في معدل التكلفة السائد في السوق فلو فرضنا أن شخصًا أمامه مشروع استثماري يتمثل في شراء بضاعة معينة قيمتها الآن ١٠٠٠ دينار وسوف يبيعه بعد سنة بمبلغ ١٢٠٠ دينار ولكن ليس معه رأس المال اللازم لتمويل هذا المشروع فعليه أن يقترضه مثلاً بمعدل ١٠٪ فهذه الزيادة تعتبر تكلفة هذه البضاعة المستثمرة في المشروع التجاري أي مبلغ ١٠٠ دينار، ويتمثل الربح الحقيقي لهذا الشخص في الفرق بين نتائج التجارة وهي ٢٠٠ دينار وتكلفة رأس المال المستثمر في التجارة وهي ١٠٠ دينار هذه وجهة نظر الشخص الذي قام بعملية التجارة، ومن ناحية أخرى

لو موّل هذا المشروع من أمواله الذاتية في هذا لأصبح معدل العائد البديل السائد في السوق هو تكلفة هذه الأموال.

موقف الفكر الإسلامي من مفهوم معدل الفائدة كمعيار لتحديد رأس المال المستثمر:

في ضوء المفاهيم والمبادئ العلمية التي تحكم استثمار رأس المال في الفكر الاقتصادي الإسلامي يتبين أن الأساس العادل للكسب هو أن يكون الكسب نتيجة عمل (جهد عضلي أو ذهني)، ويرفض الإسلام جملة وتفصيلاً فكرة الاعتماد على نظام الفائدة لأن سعر الفائدة يخرج على هذا الأساس العادل في مجال اتخاذ القرارات الاقتصادية، وله عيوب تؤدي إلى مشكلات مالية واقتصادية واجتماعية، وعدم استقرار المشروعات الاقتصادية.

ومن الحجج والأسانيد التي تقوم عليها رفض معيار الفائدة لتحديد تكلفة رأس المال منها ما هو متعلق بذات نظام الفائدة ومنها ما هو متعلق بالآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السيئة، ولقد فصّل فقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي الحجج والأسانيد لرفض نظام الفائدة إلا أننا نرى أنه من الأهمية أن نذكر هنا أهمها وهى كما يلي:

١- هناك صعوبة في تحديد معدل الفائدة العادل الذي يمثل مقابل التضحية العادلة التي ضحى بها صاحب المال مقابل تنازله عن حق استغلال رأس المال، وغالباً يتأثر سعر الفائدة في السوق بالقوانين الوضعية التي تضعها الحكومات والمنظمات والهيئات ونحوها أي يتحدد سعر الفائدة على أساس المفاوضات والنوازع الشخصية لأصحاب المؤسسات المالية والاقتصادية الذين يسيطرون على الحكومات وليس على أساس الدراسة العلمية والاقتصادية للتضحية والعائد.

٢- امتداداً للنقطة السابقة، نجد صاحب رأس المال يتعاقد مع المدين على سعر فائدة معين في وقت معين (وقت إبرام عقد القرض) ووفقاً لقوانين وضعية وعند ظروف اقتصادية معينه، حيث لا يعلم الغيب إلا الله، فإنه من المحتمل أن تتغير الظروف في المستقبل ويترتب على ذلك تغيراً في عائد استغلال رأس المال (وهو ما يطلق عليه بالإيرادات المتوقعة) عما كان متوقعاً وقت التعاقد ويترتب على ذلك أن

معدل الفائدة المحدد سلفاً لا يتمشى إطلاقاً مع حركة الإيرادات المتوقعة.

٣- يقوم المدين وهو الذي يستغل المال المقترض باقتناء أصول ثابتة تساعد في أداء النشاط بإضافة سعر الفائدة إلى ثمنها ويترتب على ذلك تضخماً في الأسعار ويعني ذلك أن تكلفة الأصول قد تحملت بأعباء رأس المال مرتين: الأولى وتتمثل في قسط الاستهلاك والثانية تتمثل في الفائدة على رأس المال الذي اقتنيت به عروض القنية وهذا خطأ من الناحية الاقتصادية والمحاسبية حيث يؤدي إلى حدوث ارتفاع في التكاليف بدون مبرر.

٤- من الناحية الاستثمارية البحتة يسعى المستدين بمحاولة توجيه الأموال المقترضة إلى الأوجه التي تؤدي بعائد أكبر من الفائدة، حتى تحقق هدفه وهو تحقيق أكبر ربح ممكن والذي يتمثل في الفرق بين العائد والفائدة وبلغة أخرى بين العائد وتكلفة المال المقترض، بصرف النظر عن آثارها الايجابية والسلبية على الاقتصاد القومي وعلى أخلاقيات المجتمع وفي هذا الخصوص يقول أحد أئمة الفكر الإسلامي: "لكي يستطيع رأس المال المستدان بالربا أن يربح ربحاً مضموناً ليؤدي الفائدة الربوية ويفضل منه شيء للمستدين يقوم باستثمار المال في الأفلام القذرة والصحافة القذرة والمراقص والملاهي حتى معدل العائد في مثل هذه المشروعات مرتفع.

٥- ومن ناحية أخرى يترتب على الاعتماد على نظام الفائدة كمعيار إعاقة النمو الاقتصادي حيث تتركز الاستثمارات على المشروعات التي تغل عائدًا أعلى من معدل الفائدة، ويترتب على ذلك تعطيل موارد اقتصادية (طبيعية- عمالة) بسبب إحجام رأس المال عنها، ويؤكد ذلك المفهوم كينز حيث يرى أن معدل سعر الفائدة الحالي يعوق النمو الاقتصادي لأنه يعطل حركة الأموال نحو الاستثمار في حرية الانطلاق، ويري أنه إذا أمكن إزالة هذا العائق فإن رأس المال سيتحرك وينمو بسرعة.

وهكذا يتضح جليًا أن الإسلام قد سبق أعظم مفكري الاقتصاد في تبيان كيف أن الاعتماد على نظام الفائدة في تحديد تكلفة رأس المال يعوق النمو الاقتصادي ويوجه الاستثمارات نحو مشروعات لا تخدم المجتمع.

٦- لقد ثبت أن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة وهذا ما توصل إليه أساتذة الاقتصاد العالمي، فعلى سبيل المثال يري الدكتور شاخت الألماني ومدير بنك الريخ الألماني سابقاً.... "أنه بعملية رياضية غير متناهية يتضح أن كل المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جدًا من المرابين، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية بينما المدين معرض للربح والخسارة ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد بالحساب الرياضي أن يصير إلى الذي يربح دائماً وأن هذه النظرية في طريقها لتحقق التكامل، فإن معظم مال الأرض الآن يملكه ملكاً حقيقيًا بضعة ألوف، أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك والعمال، وغيرهم فهم ليسوا سوى أجزاء يعملون لحساب أصحاب المال ويجني ثمرة كدهم أولئك الألوف.

٧- تعتبر الفائدة على رأس المال تكلفة الانتظار وليست تكلفة التقليب والمخاطرة، فمالك رأس المال يقدم رأس ماله إلى المدين والذي يقوم الأخير إلى استخدامه إما في مجال التجارة أو الاستهلاك أو في أغراض لا يقرها الإسلام، كما يأخذ مالك رأس المال على المدين كافة الضمانات اللازمة لضمان سداد عين رأس المال والفائدة في مواعيد محددة ولا يترتب على ذلك لرأس أو الفائدة أو هما معاً، ومن هذا المنطلق يصبح اهتمام صاحب رأس المال المضمون الثابت الذي يعطي أعلى عائد وهذا بدوره يقود إلى الكسل والخمول والأنانية وعدم الايجابية ومما ينبذه الإسلام مصداقاً لقول الله جل شأنه:

﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

٨- إن الإدارة غير المباشرة لاستغلال واستثمار رأس المال تقتل الحافز الشخصي لدى أصحاب الأموال لتقديم التوصيات والنصائح اللازمة لمتابعة حركة الأموال وتوجيهها نحو الأفضل وبذلك لا تنمو بسرعة كما هو الحلال

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

فقر المشاعر بين الزوجين

الحلقة السادسة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

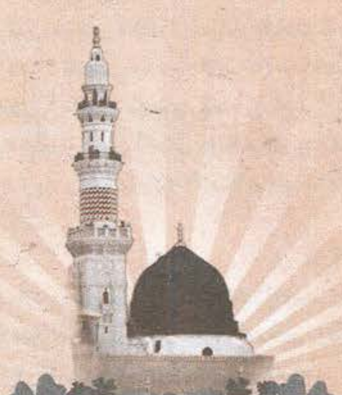

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن بعض مظاهر فقر المشاعر عند بعض الأزواج، وذكرنا أن من مظاهر فقر المشاعر أو انعدامها عند بعض الأزواج ضرب الزوجة بلا مسوغ، وأن البعض يرى ذلك من الرجولة، وسوف نتحدث بعون الله عن ضوابط الضرب، فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ- أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.

ب- أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير، فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرِّب الهجر؛ ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.

جـ- أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاجُ والتأديب والزجر لا غيرُ؛ فيراعي التخفيف فيه على أحسن الوجوه؛ فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمسواك ونحوه.

د- أن يتجنب الأماكن الخطرة والحساسة كالرأس والبطن والوجه.

هـ- ألا يكسر عظمًا، ولا يشين عضوًا، وألا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

و- ألا يتمادى في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز.

ومن هنا يتبين لنا أن الضرب دواء ينبغي مراعاة وقته، ونوعه، وكيفيته، ومقداره، وقابلية المحل، لكن الجهلة بدين الله ويقلبون الأمر، ويلبسون الحق بالباطل.

ثم إن التأديب بالضرب ليس كل ما شرعه الإسلام من العلاج، بل هو آخر العلاجات مع ما فيه من الكراهة، فإذا نشزت المرأة وأساءت عشْرة زوجها، وركبت رأسها، واتبعت خطوات الشيطان، ولم ينجح معها وعظ ولا هجران- فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحال؟

هل من كرامته أن يهرع إلى تطليق زوجته كلما نشزت؟ وهل تقبل المرأة ذلك، فينتشر خبرها، فتكون غرضًا للذم، وعرضة للوم؟

إن الضرب بالمسواك وما أشبهه أقلُّ ضررًا على المرأة نفسها، وأحفظ لمشاعرها من تطليقها الذي

هو نتيجة غالبة لاسترسالها في نشوزها، فإذا طُلقت تصدع بنيان الأسرة، وتفرق شملها، وتناثرت أجزاؤها.

وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم كان ارتكاب الأخفّ حسنًا جميلاً، كما قيل: وعند ذكر العمى يُستحسن العورُ.

فالضرب طريق من طرق العلاج يجدي مع بعض النفوس الشاردة التي لا تفهم بالحسنى، ولا ينفع معها الجميل، ولا تفقه الحجة، ولا تقاد بزمام الإقناع.

ثم إذا أخطأ أحد من المسلمين سبيل الحكمة، فضرب زوجته وهي لا تستحق، أو ضربها ضربًا مبرحًا، فالدين براء من تبعة هذه النقائص، وإنما تبعتها على أصحابها.

هذا، وقد أثبتت دراسات علم النفس أن بعض النساء لا ترتاح أنفسهن إلا إذا تعرضن إلى قسوة وضرب شديد مبرح، بل قد يعجبها من الرجل قسوته، وشدته، وعنفه؛ فإذا كانت امرأة من هذا النوع لا يستقيم أمرها إلا بالضرب.

وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول: إن هذه الوسيلة قد تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه، وإرضائه في الوقت ذاته، فربما كان من النساء من لا تحسّ قوة الرجل الذي تحب أن يكون قوامًا عليها إلا حين يقهرها عضليًّا.

وليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذا الصنف من النساء موجود، وهو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة؛ ليستقيم على الطريقة.

والذين يولعون بالغرب، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن، ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك، فتعالوا نطالع بعض الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية:

أ- نشرت مجلة التايم الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي. (انظر: دور المرأة المسلمة في المجتمع، إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص٤٥).

ب - ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠٪ من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية، وأن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي تُقدم عليها الزوجات يسببها نزاع عائلي. (انظر: دور المرأة المسلمة في المجتمع ص٤٦).

ج- دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧هـ- أشارت إلى أن ٧٩٪ من الرجال يقومون بضرب النساء، وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن.

د - وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن ١٧٪ من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأن ٨٣٪ دخلن المستشفيات سابقًا مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أُصبن بها كان دخولهن نتيجة الضرب.

وقال إفان ستارك مُعدّ هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء: إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعًا للجروح التي تُصاب بها النساء، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات، والسرقة، والاغتصاب مجتمعة.

وقالت جانيس مو- وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل، فالأزواج يضربون نساءهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج.

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وما بين ضرب أخرى بالكراسي، والسكاكين، والقضبان المحماة.

وبعدُ، فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات؛ ولكن نفرًا من بني جلدتنا غير قليل لا يقع منهم الدليل موقعه إلا إذا نُسب إلى الغرب وما جرى مجراه، فها هو الغرب تتعالى صيحاته من ظلم المرأة، فهل من مدكر؟!

نسأل الله أن يصلح أحوالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

مثل الكلمة الطيبة

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مَثَل آخر من الأمثال في القرآن، وهو في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٢٤) تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (إبراهيم:٢٤، ٢٥).

المعنى الإجمالي:

شبَّه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمةُ الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضيٌّ لله عز وجل ثمرة هذه الكلمة. (الجامع في أمثال القرآن لابن القيم ص١٢٥).

إنها الشجرة الطيبة أصلها ثابت راسخ، عميق الجذور، متماسك في الأرض مهما عصفت بها الرياح، واشتدت عليها الأنواء، وتقاطرت عليها من كل جانب الصواعق والعواصف فلا تؤثر فيها، ولا تهزّ أصولها، بل تظل قوية شديدة، شامخة الرأس، عالية الهامة فروعها في السماء، وأغصانها تمتد حتى تبلغ الجوزاء، لا تنحني ولا تميل، لا تضطرب ولا تهتز، وهكذا حامل كلمة الإيمان.

معاني المفردات:

ألم تر: بمعنى: ألم تعلم- وقال بعضهم: (ألم تر) بعين قلبك فتعلم علم يقين بإعلامي إياك- والاستفهام في «ألم تر» إنكاري نَزَّل المخاطب منزلة من لم يعلم فأنكر عليه عدم العلم، أو هو مستعمل في التعجب من عدم العلم بذلك مع أنه مما

تتوفر الدواعي على علمه، أو هو للتقرير، ومثله في التقرير كثير، وهو كناية عن التحريض على العلم بذلك.

كيف: هنا للدلالة على أن حالة ضرب هذا المثل ذات كيفية عجيبة من بلاغته وانطباقه.

ضرب الله مثلاً: أي اختار مثلاً وضعه في موضعه اللائق به.

وإسناد «ضرب» إلى اسم الجلالة لأن الله أوحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام. (الجامع في أمثال القرآن ص١٢٥).

كلمةً طيبة: قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيره: الكلمة الطيبة هي «لا إله إلا الله» مثلها الله بالشجرة الطيبة، وهي النخلة في قول أكثر المتأولين. (المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٣/٥).

والطيبة: النافعة: استعير الطيب للنفع لحسن وقعه في النفوس كوقع الروائح الذكية.

كشجرة طيبة: وهي النخلة أفضل الأشجار وأحسنها وأقربها شبهًا بالمؤمن.

أصلها ثابت: وصف الشجرة بأن أصلها ثابت أي: راسخ آمن من الانقلاع بسبب تمكنها من الأرض بعروقها.

والفرع: ما امتد من الشيء وعلا، مشتق من الافتراع وهو الاعتلاء، وفرع الشجرة: غصنها، وأصل الشجرة: جذرها.

والسماء: مستعمل في الارتفاع، وذلك مما يزيد الشجرة بهجة وحسن منظر.

تؤتي أكلها: أي ثمرها.

كل حين: أي كل وقت، والحين في اللغة: الوقت يطلق على القليل والكثير، واختلفوا في مقداره.

بإذن ربها: أي بإرادته ومشيئته وأمره.

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون: في ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني وتقريب لها من الحس ومواعظ لمن تذكر واتعظ. (معاني المفردات مستفادة من تفسير ابن كثير، وفتح البيان لصديق حسن، والمحرر الوجيز لابن عطية بتصرف).

المعنى التفصيلي:

لما ذكر الله سبحانه مَثَل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح، ثم ذكر نعيم المؤمنين وما جازاهم الله به من إدخالهم الجنة خالدين فيها وتحية الملائكة لهم، ذكر تعالى هاهنا مثلاً للكلمة الطيبة وهي كلمة الإسلام أي: لا إله إلا الله أو ما هو أعمّ من ذلك من كلمات الخير، وذكر مثلاً للكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشر. (فتح البيان لصديق حسن ٥٤٢/٣).

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وهي مَثَل المسلم، حدّثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجرة البادية، ووقع في نفسي أنها النخلةُ، قال عبد الله: فاستحييتُ، فقالوا: «هي النخلة». قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحبُ إليّ من أن يكون لي كذا وكذا».

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كلمة طيبة» شهادة أن لا إله إلا الله، و«كشجرة طيبة» وهو المؤمن «أصلها ثابت» قول: لا إله إلا الله، في قلب المؤمن. «وفرعها في السماء» يقول: يُرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله".

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن فإنه سبحانه شبّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًا التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة الصاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها.

فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها

التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبُهُ لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً.

فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلامًا كثيرًا طيبًا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح إلى الكلم الطيب كما قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ».

فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحًا كل وقت.

وقال الربيع بن أنس: "أصلها ثابت وفرعها في السماء"، قال: "ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له أصلها ثابت"، قال: "أصل عمله ثابت في الأرض وفرعها في السماء" قال: ذكره في السماء.

ولا اختلاف بين القولين والمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك"، ومن قال من السلف: "إنها شجرة في الجنة: فالنخلة من أشرف أشجار الجنة". (الجامع في أمثال القرآن لابن القيم ص١٢٨).

من فوائد الآية:

١- أن كلمة التوحيد هي التي تربط الأرض بالسماء، وتجعل الكون كله وحدة موحدة تدين لخالقها طوعًا وكرهًا، وتسبح بحمد بارئها صباحًا ومساءً بلسان الحال وبلسان المقال.

٢- أنها مفتاح السماوات والأرض، بها كان الخلق وبها كان كل شيء في عالم الملك والملكوت، إنها الشجرة التي تمد المؤمنين بنورها الصافي كما جاء معنى ذلك في سورة النور في قوله تعالى: «مثل نوره..» إلى أن قال سبحانه: «لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» (النور:٣٥).

٣- جلال المعنى في قوله جل شأنه: «وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» (إبراهيم:٢٤)، فإنه يفيد أن السماء من أولها إلى آخرها ظرف لهذا الفرع الممتد، ولو قال إلى السماء لما أدى ذلك المعنى، ولم يقل: وفروعها، بل قال: «فرعها» لمناسبة كلمة التوحيد، وليرتبط اللفظ بالمعنى، كما نلاحظ ذلك في مناسبة الألفاظ للمعاني في مثل قوله تعالى: «رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ» (المزمل:٩)، فقد وحد المشرق والمغرب لمناسبة الوحدانية هناك، بينما جمعهما في آيات أُخَر فقال في سورة المعارج «أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ» (المعارج:٤٠)، ليناسب قوله تعالى: «مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» (المعارج:٣) ليناسب قوله: «رَبُّ الْمَشَارِقِ» وقال: «وَرَبُّ الْمَشَارِقِ» (الصافات:٥).

وقال: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» (الرحمن:١٧) في سورة الرحمن؛ لأن الخطاب في السورة للجن والإنس، فثناهما مراعاةً لتثنية الخطاب، فتأمل ذلك وقِسْ عليه.

٤- قوله تعالى: «تُؤْتِي أُكُلَهَا» (إبراهيم:٢٥) أقوى دلالة من قوله: «تؤتي ثمرها»؛ لأن الثمر قد لا يؤكل لمرارته مثلاً، وفي قوله: «بِإِذْنِ رَبِّهَا» (إبراهيم:٢٥)، إشارة إلى أن كل شيء في هذا الكون لا يقع إلا بإذنه، وأن الزارع مهما بذل في الأرض من جهد، ومهما كان لديه من خبرة في شئون الزراعة فإنه لا يستطيع أن يُخرج من الأرض حبة واحدة، كيف وهو لا يعلم أين استقرت عندما بذرها، ولا يعلم متى تخرج وكيف تخرج وكيف تنمو وتترعرع، لا علم لهم بشيء من ذلك، وبالتالي لا يكون له قدرة على إنبات حبة في الأرض مهما بذل من جهد وخبرة.

قال الله تعالى: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» (الواقعة:٦٣-٦٤). (الفوائد مستفادة من كتاب الأمثال القرآنية للدكتور محمد بكر إسماعيل).

والحمد لله رب العالمين.

تعطير اللسان وصون الجوارح والأركان

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة أن معاوية كتب إلى المغيرة أن اكتب إليّ بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فكتب إليه المغيرة: إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ثلاث مرات. قال: وكان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات، وعقوق الأمهات، ووأد البنات».

التخريج:

الحديث بهذا اللفظ مروي في البخاري في كتاب الرقاق باب ما يكره من قيل وقال (صحيح البخاري تحقيق البغا (٥/٢٣٧٥)، (٦١٠٨) ورواه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه صحيح البخاري تحقيق البغا (٢٦٥٨/٦) بدون ذكر العدد، ثم هو مروي من غير لفظ الذكر بعد الصلاة في صحيح مسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه.

بين يدي الحديث:

بعد رمضان وشوال ولا تزال قلوب المؤمنين تعلوها رحمات الله الواسعة التي أدركتهم من نفحات أيام دهره، لا تزال تعلو وجوههم أنوار الطاعة التي منَّ عليهم ربهم بها وتفضّل، وقد أحلّ بهم شهر ذي القعدة وهم في استقبال ركن الحج الأكبر، كلها كرامات ورحمات ومِنَن بعضها تلو الآخر، ولا يسع المسلمَ إلا الشكرُ، وشكرُ المؤمن لربه يستوجب التعرض لنفحاته بمزيد الطاعات، والصلة بربه بمزيد القربات، والبعد عما يستوجب بُعد القلب عن طريق سيره إلى الله، وشرع الله كله كذلك.

وتزداد الوظيفة ويظهر أثر ذلك أكثر في رقائق الشرع مما يلي القلب؛ فكان من ذلك حديثنا من كتاب الرقاق في صحيح الإمام البخاري رحمه الله وقدس روحه ونوَّر ضريحه بروضة من رياض الجنة، وأول ما يلفت النظر فيه أن يرسل أحد الخلفاء- معاوية رضي الله عنه- إلى أحد عماله- المغيرة بن شعبة رضي الله عنه واليه على الكوفة في سنة إحدى وأربعين إلى أن مات سنة خمسين أو في التي بعدها- كتب معاوية إليه يستوعظه ويطلب حديثه، فلم تشغلهم شئون الولاية وأمور الحكم عن تذاكر أمور الآخرة؛ إذ الآخرة خير وأبقى، والولاية وأمورها بلاغ للآخرة وأحوالها وأهوالها واللافت كذلك أن المغيرة لم يكن وقت التحديث مع معاوية رضي الله عنهما فيكون طلب الموعظة والتحديث على ما به من خير من أمثال هؤلاء الأكابر يكون أمرًا مستساغًا، إلا أنه أرسل إليه يستوعظه، ويرد عليه المغيرة بكتاب يكتبه كاتب المغيرة-واسمه وارد- فيكتب إليه عبارات سمعها المغيرة من رسول الله وقد يكون المغيرة سمعها في مجلس واحد أو في أكثر من مجلس، فتصرف فيها المغيرة، وجمعها لمعاوية في سياق واحد؛ يعظه بها، وهو من تصرُّف الرواة المشروع والمألوف، المهم أنه سمعها وكلها عبارات تعلوها أنوار الطاعة واتصال القلب وعبوديته، وتلكم أول فائدة.

المعنى العام للحديث:

تضمن هذا الحديث جملة من الآداب؛ حيث بدأه بذكر لعله من أفضل ما يُقال على الإطلاق إن لم

يكن هو الأفضل؛ إذ هو كلمة التوحيد فهو أوله وأعلاه وأجله وأتقاه.

ثم نهى فيه صلى الله عليه وسلم عن ثلاث أشياء:

- عن عقوق الأمهات؛ لما لها من حق كبير على ولدها، فقد حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وسهرت عليه.
- ونهى عن منع الحقوق الواجبة، والبخل في ذلك.
- كذلك نهى عن وأد البنات وهو دفنهن أحياء مما كانت يفعله بعض العرب في الجاهلية.

ثم بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الأمور التي يكرهها الله من عباده:

فأولها: قيل وقال مما يعمد إليه بعض الناس من تسقّط لأخبار الغير ونشرها، يتكلمون في كل ما لا يعنيهم. فلا شغل لهم في المجالس إلا أن يقولوا: قال فلان، وقيل لفلان.

والثاني: فهو كثرة السؤال والإلحاح فيه بغير ضرورة داعية.

والثالث: فهو تبذير الأموال وإتلافها في غير مصلحة دينية ولا دنيوية.

الشرح:

١- قوله: «باب ما يكره من قيل وقال»: أي هذا باب ما يدل على كراهة القيل والقال، وهو الإكثار بما لا فائدة فيه من الكلام والخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم. واختلفوا في حقيقة اللفظين على قولين: أحدهما: أنهما فعلان. والثاني أنهما اسمان مجروران منونان.

ولا يخفى أن الخوض في الكلام وكثرته سببٌ من أسباب قساوة القلب لاسيما مما ابتُليت به العامة في هذه الأزمان من الخوض في العلماء والأعيان، والخاصة والعامة، مما يضر بحال العبد في دنياه وأخراه، والمؤمن يتعبد إلى ربه بقول الخير كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

وذكر الحافظ ابن حجر وجهًا آخر لهذه العبارة قال: هو أن يذكر للحادثة عن العلماء أقوالاً كثيرة، ثم يعمل بأحدها بغير مرجِّح أو يطلقها من غير تثبت ولا احتياط لبيان الراجح» انتهى.

وخلاصته فكل ما لا يثقّل موازين العبد يوم القيامة فالمختار للعبد أن يبتعد عنه.

٢- أما عن قوله رضي الله عنه: إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) ثلاث مرات؛ فهذا نوع من أذكار الصلاة: وقد أجمع العلماءُ على استحباب الذكر بعد الصلاة عمومًا، وجاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة منها ما ورد في سنن الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الدعاء أسمع؟ قال: «جَوْفُ اللَّيلِ الآخِرِ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ المَكْتوبات».

ومن هذه الأذكار ما هو استغفار، ومنه ما هو تسبيح وتكبير وتحميد وتهليل، وتعوذ بالله، وطلب مغفرة منه سبحانه أو غير ذلك، ومنه ما هو عام بعد كل صلاة أو خاص لبعض الصلوات كالمغرب والعشاء، وحديثنا حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه هو مما يقال عقب كل صلاة، واللفظ الوارد في حديثنا هو لفظ مختصر؛ إذ إنه ورد في الصحيحين بلفظ أتم من هذا عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ؛ اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ». (متفق عليه).

وفي مسلم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، أنه كان يقول دُبُرَ كلِّ صلاة حين يسلم: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ ولَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ. قال ابن الزبير: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلّل بهنّ دُبُرَ كُلِّ صلاة. (فلتراجع هذه الأذكار في مظانها ففيها من الخير ما لا يحصيه إلا الله تعالى).

وفي قوله: (ثلاث مرات) نظرٌ؛ إذ قال ابن رجب في

فتح الباري (٤١٧/٧): «وهذه زيادةٌ غريبة»، وكان نسبها لأحمد والنسائي.

والبخاري إنما أخرجها في باب (ما يكره من قيل وقال)، في كتاب الرقاق.

وأما في باب (الذكر بعد الصلاة)، من كتاب الأذان، وباب (الدعاء بعد الصلاة)، من كتاب الدعوات؛ فأعرض عن هذه الرواية، وأخرج روايات أخرى للحديث؛ ليس فيها (ثلاث مرات)، وهذان البابان عقدهما البخاري قصدًا لما يُقال بعد الصلاة، وأخرج فيهما ما يعتمده ويصححه من ذلك.

وأما قوله: (كثرة السؤال): فقيل الإكثار من السؤال عما لم يقع، ولا تدعو إليه حاجة أو الإلحاف في الطلب، والسؤال عما لا يعني السائل، وقيل: المراد بالنهي المسائل التي نزل فيها «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»، وقيل الإكثار من تفريع المسائل؛ لذا فقد كره جماعة من السلف السؤال عما لم يقع؛ لما يتضمن من التكلف في الدين والتنطع والرجم بالظن من غير ضرورة، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك؛ ففي الصحيح: «كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها».

وقيل: المراد به سؤال الناس أموالهم، وما في أيديهم، وأيضًا تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك، وعليه فالسؤال عن كل ما لا يعني الإنسان هو مما هو داخل في النهي؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (ينظر شرح النووي على مسلم).

بل ومما ابتُليت به الأوساط العلمية أن يتبنى بعض السائلين منهج السؤال بنية إعنات المسئول واختباره وهو مما يخالف الأدب النبوي، بل ربما يصطدم مع الإخلاص الذي يتعبد الله به عباده، ولا شك أن ذلك لا يناقض طلب العلم المرجو؛ فقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كثير السؤال؛ فقد قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: «أدركت العلم بلسان سؤول، وقلب عقول وبدن غير ملول»، لكن إذا كان قصد السائل إعنات المسئول فذلك هو المنهي عنه.

وقوله: (إضاعة المال): فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية، وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد، والله لا يحب المفسدين، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس.

أو بذله في غير مصلحة عمومًا لا دينية ولا دنيوية؛ لأن الله تعالى قال: «وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا» (النساء: ٥)، فالمال قيام للناس تقوم به مصالح دينهم ودنياهم؛ فإذا بذله الإنسان في غير ذلك فهذا إضاعة له وأقبح من ذلك أن يبذله في محرم فيرتكب محظورين.

وقوله: "عقوق الأمهات": فحرام، وهو من الكبائر بإجماع العلماء، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على عدّه من الكبائر، وكذلك عقوق الآباء من الكبائر، وإنما اقتصر هنا على الأمهات؛ لأن حرمتهن آكد من حرمة الآباء، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حين قال له السائل: من أبر؟ قال: "أمك ثم أمك" ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: "ثم أباك"، ولأن أكثر العقوق يقع للأمهات، ويطمع الأولاد فيهن.

وقوله: "وأد البنات" بالهمز، فهو دفنهن في حياتهن؛ فيمتن تحت التراب، وهو من الكبائر الموبقات؛ لأنه قتل نفس بغير حق، ويتضمن أيضًا قطيعة الرحم، وإنما اقتصر على البنات، لأنه المعتاد الذي كانت الجاهلية تفعله.

وقوله: "ومنعا وهات"، وفي الرواية الأخرى: "ولا وهات" فهو بكسر التاء من "هات"، ومعنى الحديث: أنه نهى أن يمنع الرجل ما توجه عليه من الحقوق، أو يطلب ما لا يستحقه.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "حرم ثلاثًا وكره ثلاثًا" دليل على أن الكراهة في هذه الثلاثة الأخيرة للتنزيه، لا للتحريم. والله أعلم. (ينظر شرح النووي للحديث في شرحه على مسلم).

وختامًا؛ فلعل هذه الأيام المباركات هى أيام نفحات وذكر ورحمات، فقد خرج العبد من رمضان بما فيه من ركن الصيام ثم ها هو يستعد لاستقبال ذي الحجة بما فيه من ركن الحج الأكبر، فاللهم ارزقنا شرف العبودية لك والتقرب إليك؛

إنك ولي ذلك والقادر عليه.

مسابقة فضيلة الشيخ:

محمد صفوت نور الدين (رحمه الله)

يسر جمعية أنصار السنة المحمدية، فرع بلبيس، أن تعلن عن الحلقة الثالثة عشرة من مسابقة فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين -رحمه الله-، في القرآن والسنة والعقيدة، وهي على النحو التالي:

المستوى الأول:

١- حفظ ستة وعشرين جزءًا من القرآن الكريم؛ من سورة الفاتحة إلى آخر سورة (ق).

٢- تفسير سورة الزمر من (١- ٢٠).

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (١٢٠١ إلى ١٣٠٠)، مع شرح عشرة أحاديث منها.

٤- دراسة الباب السابع والثامن والتاسع من كتاب القول المفيد شرح كتاب التوحيد.

المستوى الثاني:

١- حفظ القرآن من سورة المؤمنون إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- تفسير سورة المؤمنون من «١- ٣٠».

٣- حفظ خمسين حديثًا من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٥٥١- ٦٠٠)، مع شرح أول عشرة أحاديث منها.

٤- دراسة الباب الخامس والسادس من كتاب القول المفيد شرح كتاب التوحيد.

المستوى الثالث:

١- حفظ ثلاثة أجزاء من الناس إلى المجادلة مع التجويد.

٢- معاني كلمات من سورة نوح إلى سورة الملك.

٣- حفظ خمسة وعشرين حديثًا من كتاب رياض الصالحين.

٤- حفظ عشرين سؤالاً وجوابهم من كتاب (٢٠٠ سؤال وجواب للشيخ حافظ حكمي).

موعد المسابقة:

سيكون امتحان جميع المستويات-بإذن الله تعالى- يوم السبت ٢٠١٧/٨/١٩م، ويبدأ الامتحان من الساعة الثامنة صباحا بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس.

الشروط:

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستوى الثاني عن ٣٠ عاماً، والثالث عن ١٦ عاماً.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ٣٠ جنيهاً، والثاني ٢٥ جنيهاً، والثالث ٢٠جنيهاً، كمصاريف إدارية في المسابقة ولا تدخل في الجوائز.

٣- يتم الامتحان في جميع المواد تحريريًا للمستوى الأول والثاني ما عدا القرآن الكريم، وأما المستوى الثالث فيكون شفويًا في جميع المواد.

٤- يتم تسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس أو التواصل عبر الموقع الرسمي لمسجد التوحيد ببلبيس.

٥- يتم تسليم نسخة تشمل منهج المسابقة لكل من يسجل اسمه.

٦- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم الجمعة ٢٠١٧/٩/١٠م بعد صلاة الجمعة بمسجد التوحيد ببلبيس.

للاستفسار الاتصال على هاتف/الشيخ يحيى زكريا ٠١٠٠٤٧٥٩١٠٨

٧- جوائز المسابقة قيمة وجائزة الفائز الأول في المستوى الأول والمستوى الثاني، عمرة إلى بيت الله الحرام.

القسم الثاني

الحلقة (٦١)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٥٦٧- " إِذَا لَقِيتَ الْحَاجَّ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَصَافِحْهُ، وَمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ؛ فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٩/٢) (ح٥٣٧١) (١٢٨/٢) (ح٦١١٢)، والحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦٥/٢) من حديث محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا، وآفته البيلماني؛ قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين»: محمد بن عبد الرحمن البيلماني كان ممن أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها، حدَّث عن أبيه بنسخة شبيها بمائتي حديث كلها موضوعة، لا يجوز الاحتجاج به ولا ذكره في الكتب إلا على وجه التعجب». اهـ.

وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٢٩): «محمد بن عبد الرحمن أبو جابر البيلماني عن أبيه منكر الحديث».

قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): قول الإمام البخاري: «منكر الحديث»؛ فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث؛ فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٥٦٨- " مَن صَامَ صَبِيحَةَ الفِطْرِ فكَأَنَّما صَامَ الدَّهْرَ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦٥/١) من حديث محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا، وآفته ابن البيلماني، وقد بينا حاله آنفًا، وقال ابن عدي في «الكامل» (١٨١/٦) (١٦٦١/٤٠): «كل ما روي عن ابن البيلماني فالبلاء فيه من ابن البيلماني». اهـ.

٥٦٩- " لا يَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلا يَحْفَظُ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ، كُلَّمَا مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ آخَرَ، هُمْ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦٥/٢) من حديث محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا، وآفته البيلماني، وقد بينا حاله آنفًا بأنه وضَّاع لا تحل الرواية عنه.

٥٧٠- " الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ يُصَافِحُ بِها عِبادَهُ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/١)، والخطيب في «التاريخ» (٣٢٦/٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٥٧٥/٢) (ح٩٤٤) من حديث إسحاق بن بشر الكاهلي عن أبي معشر المدائني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله مرفوعًا، قال الإمام ابن الجوزي: لا يصح، وأخرج ابن عدي في «الكامل» قال: سمعت أحمد بن محمد بن سعيد يقول: ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذَّب أحدًا إلا إسحاق بن بشر الكاهلي. اهـ.

وقال الذهبي في الميزان (١٧٦/١): وكذا كذَّبه موسى بن هارون، وأبو زرعة. اهـ.

وعلة أخرى أبو معشر المدائني وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي، قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٦٩٨٠/٤٧/١٩) روى عن محمد بن المنكدر وآخرين، وروى عنه إسحاق بن بشر وآخرون. اهـ. قال الإمام البخاري في الضعفاء الصغير (٣٨٠) نجيح أبو معشر: منكر الحديث. وقد بينا معنى هذا المصطلح عند الإمام البخاري آنفًا.

وله شاهد أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٥٧٦/٢) (ح٩٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا، وفيه عبد الله بن المؤمل، قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يثبت، قال أحمد عبد الله بن المؤمل أحاديثه مناكير، وقال علي بن الجنيد: شبه متروك.

وله شاهد آخر أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث (٩٦/٢) من حديث ابن عباس، وفي سنده إبراهيم بن يزيد الخوزي أورده الحافظ الذهبي في الميزان (٢٥٤/٧٥/١) ونقل أن أحمد والنسائي قالا: متروك، وابن معين قال: ليس بثقة، والبخاري قال: سكتوا عنه.

قال الإمام الذهبي في الموقظة (ص٤٨): وأما قول البخاري: سكتوا عنه. فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بها بالاستقراء: أنها بمعنى تركوه. اهـ.

٥٧١- " إِنَّ اللهَ قَدْ ذَبَحَ كُلَّ نُونٍ فِي الْبَحْرِ لِبَنِي آدَمَ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الدارقطني في السنن (ح٤٦٢٧) عن إبراهيم بن يزيد الجوزي عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن سرجس- وكان شيخًا قديمًا قال فذكره مرفوعًا.

وأورده الحافظ المقدسي في أطراف الغريب للدارقطني (١٩٧/٤) (ح٤٠٤٢) وقال: غريب في حديث عمرو عنه، تفرد به إبراهيم بن يزيد الخوزي عنه، ولا نعلم رواه عنه غير فهيد بن زياد. اهـ. والخوزي: متروك قد بينا أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه آنفًا.

٥٧٢- " مَنْ مَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ لَمْ يَعْرِضْهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُحَاسِبْهُ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام البيهقي في الشعب (٥٣٦/٦) (ح٣٨٠٤) من حديث عائشة مرفوعًا، وفيه عائذ بن نسير قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٩٤/٢) «كثير الخطأ» وأخرج عن يحيى بن معين أنه ضعفه، وأخرج هذا الحديث من مناكيره، وقال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٤٧/٤١٠/٣): «عائذ بن نسير: منكر الحديث وأخرج له هذا الحديث من مناكيره».

وصايا للحجيج

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي فرض الحج على عباده إلى بيته الحرام، ورتَّب على ذلك جزيل الأجر ووافر الإنعام، فمن حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، نقيًا من الذنوب والآثام، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة دار السلام، وأصلي وأسلم على نبينا محمد أفضل من حج وصلى وزكى وصام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الليالي والأيام، وبعدُ:

فيا أخي الحاجّ: هذه وصايا أذكِّر بها نفسي وإياك فتقبَّلْها مني مشكورًا:

أولاً: يجب على الحاج وغيره أن يُخلص نيته وقصده لله تعالى، فيجعل عمله خالصًا لوجهه الكريم حتى يقع أجره على الله، وينال ثوابه، قال الله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ» (البينة:٥)، فلا رياء ولا سمعة، ولا انصراف عن الله إلى غيرِه؛ ذلك أنَّ الله لا يقبلُ من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغيَ بِهِ وجهه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ". (مسلم: ٢٩٨٥).

فمن حج يبتغي الذِّكر والصيت انقلب إليه عمله، ولم يُرفَع فوق رأسه.

ثانيًا: المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

فالإخلاصُ لله دون متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكفي ولا يجزئ، فأبى الله أن يقبل عملاً إلا إذا أخلص فيه صاحبه لله، وجرَّد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو القائل عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم». (مسلم: ١٢٩٧).

وحذَّر صلى الله عليه وسلم من مخالفته فقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ». (متفق عليه).

وفي رواية: «من عمل عملاً ليسَ عليه أمرنا، فهو رد». (مسلم: ١٧١٨). أي: مردود عليه، غير مقبول.

ثالثًا: اجتناب الشرك بأنواعه وأشكاله:

وذلك أنَّ الشرك أعظم ذنب عُصيَ الله به، وهو مُحبط للعمل، قال الله تعالى: «وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ» (الزمر:٦٥، ٦٦). والمعنى: لئن أشركت يا محمد ليبطلنَّ عملك الصالح، ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك، وهذا على سبيل تعليم أمته، وإلا فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصَمَه الله، وحاشاه أن يشرك بالله، وهو الذي أرسله الله لإقامة صرح التوحيد.

فالشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل. فالعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنَّ الصلاة، لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك فيها فسدت كالحدث إذا دخل في الصلاة،

وأعظم مقاصد الحج تحقيق التوحيد لله، والبعد عن الإشراك به، يقول سبحانه: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا » (الحج:٢٦)، فلا يجوز أن يلجأ العباد - في قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم، وشفاء مرضاهم- إلا لمن بيده وحده تصريف الأمور، ودفع الشرور، لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه، فالتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور إليه دون غيره، واعتقاد أنه مالك النفع والضر دون سواه- أمورٌ يجب على المسلم أن يعتقدها دينًا لله الواحد الأحد، لا يشركه فيها أحدٌ.

قال الله تعالى: «قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ » (الزمر:٣٨)، وقال تعالى: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» (يونس:١٠٧)، فعلِّق قلبك بربك أيها الحاج وضع نُصب عينيك وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف». (صحيح الجامع: ٧٩٥٧).

رابعًا: التوبة النصوح ورد المظالم لأصحابها:

فالتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته، لأنه سبحانه هو المعبود حقًا، وحقيقة العبودية هي التذلل والخضوع للمعبود محبة وتعظيمًا، وأن تكون خالصة لله عز وجل؛ بأن يكون الباعث لها حبّ الله وتعظيمه ورجاء ثوابه والخوف من عقابه؛ حتى تعود كيوم ولدتك أمك.

خامسًا: الاستعداد للحج بالعلم النافع والفقه في الأحكام:

فالمسلم إنما يعبد الله على بصيرة وعلم، وإذا أوجب الله على العبد أن يحج إلى بيته، وجعل ذلك أحد أركان دينه، كان الواجب على المسلم أن يتعلم ما يلزمه في حجه.

فمن الخطأ أن تجد الرجل يحج، ويقتحم أبواب هذه العبادة بغير علم، وإنما يبني عبادته على شيء يظنه أو سمعه ممن لا علم له، ثم يذهب بعد وقوع المحذور في حجه مستفتيًا أهل العلم، قائلاً: أوجدوا لي مخرجًا.. وكان الواجب عليه أن يعلم قبل أن يعمل.

قال الإمام البخاري في كتاب العلم: «باب: العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ » (محمد:١٩). فبدأ بالعلم». (فتح الباري: ١/ ٦١).

فلا يجوز أن يُعبَد الله على جهل، أو تُؤدَّى المناسك على غير هُدًى، وذلك أمرٌ ينبغي أن يُعنَى به الحاج أيما عناية.

سادسًا: التماس الرفيق الصالح:

نهى الإسلام أبناءه عن الوحدة في السفر، وحثّهم على الترافق واتخاذ الصحبة؛ لما في ذلك من تلبية لاحتياج النفس إلى الاجتماع، ولما يشتمل عليه ذلك من أنس وتكامل وعون ووقاية وتبادل خدمة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا منتنة». متفق عليه.

فاستعن بالله تعالى وإسأله أن يوفِّقك لحسن الرفقة وطيب العشرة، والانتفاع بالصحبة، فينبغي للحاج أن يصاحب رفيقًا يذكِّره إذا نسي، ويقوِّيه إذا عجز، ويصبِّره إذا يئس، ويشجعه إذا جبن، يأخذ بيده للخير ويدله عليه، يحب له الخير كما يحب لنفسه، ينصح له في حله وترحاله.

سابعًا: التحلي بمكارم الأخلاق وحُسن العشرة:

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تُرفَع الدرجات، وتُضاعَف الحسنات، وإنها الغاية الأولى من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (الصحيحة: ٤٥).

فالمسلم مطالَب بالتحلي بحسن الخلق في كل

زمان ومكان وكل وقت وحين، ولاسيما في هذا الموطن؛ فالسفر غالبًا يُعَرِّي الإنسان من الأقنعة التي كانت تحجب طبيعته، وما سُمي السفر سفرًا إلا لأنه يُسْفِر عن أخلاق الرجال، فكن أخي الحاج حَسَن الخُلق مع إخوانك فإن حُسن الخلق عنوان كمال الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا». (صحيح الجامع: ١٢٣٢).

ومن ذلك استعمال مفاتيح القلب الولوج من بوابات النفس: من تبسُّم الوجه وطلاقته، وكلمة طيبة، وحُسن استماع، ومشاركة وجدانية، والحفاظ على المشاعر والحقوق والممتلكات، وإحسان الظن، والتماس العذر، وتذكر الحسنات، وتغليب التسامح والرحمة على المحاققة، وترك الملامة، وتجاوز الإساءة، والتغافل عن الخطأ، وسرعة الاعتذار عند الزلل، وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيِّره من الحور العين، يزوِّجه منها ما شاء». (صحيح الجامع: ٦٥٢٢).

ثامنًا: تجنب الرفث والفسوق والجدال:

قال الله تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ» (البقرة:١٩٧)، يعني أنه من أوجب الحج على نفسه خلال هذه الشهور بأن تلبس به، وألزمه نفسه، فليحترم ما التزمه من شعائر الله، وليصنه من الرفث الذي هو مقاربة النساء ما دام محرمًا، ومن الفسوق الذي هو الخروج عند حدود الشرع بفعل أي محظور يخل بإحرامه، ومن الجدال.

تاسعًا: الحذر كل الحذر من مقارفة المعاصي:

قال الله تعالى: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (الحج:٢٥)، فإذا كان ذلك لمجرد الإرادة، فكيف بمن يُريد ويفعل؟

إنَّ في هذا التعبير البليغ زيادة في التحذير، ومبالغة في التوكيد، ولقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في الأدب مع حرم الله عز وجل. يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «كنا نعدُّ: لا والله، وبلى والله، من الإلحاد في الحرم». ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «لأن أخطئ سبعين خطيئة بـ(ركبة)- أحبُّ إليَّ من أن أخطئ خطيئة واحدةً في الحرم». (انظر: مصنف عبد الرزاق: ٢٨/٥). ومعنى: «رُكبة» اسم موضع بالحجاز بين غمرة وذات عِرْق.

عاشرًا: استثمار الوقت في الحج:

الحج أيام معدودة، وسويعات محدودة، ينقضي بانقضائها، ويستفاد منه بمقدار استثمارها، فمن صدق فيها ربه فنفر من المعاصي والمنكرات وجدَّ في الطاعات، واستكثر من الخيرات بانيًا عمله على إخلاص واتباع، فحري به أن ينال عالي الدرجات، ويخرج من الموسم بحج مبرور وسعي مشكور وتجارة لن تبور، بإذن الله تعالى.

وقد وردت في ثنايا آيات الحج إشارات تحثُّ العبد على الاستكثار من الطاعات وقت أداء النسك، ومن ذلك: قوله عز وجل: «وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ» (البقرة:١٩٧). ولعل من أهم الطاعات التي ينبغي أن يستكثر منها العبد ويشغل بها وقته أثناء النسك:

١- **أعمال القلوب:** من إخلاص، ومحبة، وتوكل، وخوف، ورجاء، وتعظيم، وخضوع، وإظهار افتقار، وصدق في الطلب والمسألة، والإنابة والصبر والرضا والطمأنينة، وقراءة القرآن والذكر والاستغفار، وقد أمر الله الجميع بالذكر والاستغفار في ثنايا آيات الحج، قال الله تعالى: «فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا» (البقرة: ١٩٨-٢٠٠). ثم يأمر الله بالذكر مرة أخرى، «وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ» (البقرة:٢٠٣)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: «أن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله». (صحيح الجامع: ١٥٣).

بتفعيل هذه الوصايا عملياً أرجو الله لي ولك أخي الحاج القبول، والظفر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الحج المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة» (متفق عليه).

اللهم اكتب لنا ولكل متشوق حج بيتك الحرام هذا العام، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

زيارة المدينة آداب وأحكام

الحلقة الأولى

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

من الأعمال التي يحرص عليها الحاج والمعتمر وبخاصة من يأتي من خارج المملكة السعودية زيارة مدينة رسول الله ومعالمها، فمنذ وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمَهُ فيها تحولت المدينة من قرية لا تُذْكَر بين حرَارٍ سُود إلى أعظم مدينة على وجه الأرض، وفي مواسم الحج والعمرة تقذف المطابع الكثير من المصنفات الصغيرة والكبيرة حول زيارة المدينة وآدابها، لمعرفتهم بحرص الناس على الزيارة، وإذا تأمل المرء الكثير منها وجدها تتحدث عن طقوس وزيارات وأدعية معينة بكيفيات معينة، منها ما هو صحيح مشروع وأحيانًا قد خلط بما هو بدعة ممنوعة والكثير منها لا تجد لها سندًا في الشرع.

ويزداد الأمر سوءًا عندما تختلف الكتب تبعًا لاختلاف المشارب مما قد يوقع العامة في بلبلة، وبدلاً من سهولة الأمر ويسره يصبح صعبًا متعبًا بسبب كثرة الأدعية والأذكار والمزارات والعبادات غير المشروعة، وعندما تبحث عن مستند هذه الأعمال لا تجد دليلاً صحيحًا صريحًا خاليًا من المعارضة يدعمها ويؤيدها، ولذلك سنتناول في هذا العدد الآداب والأحكام المتعلقة بزيارة المدينة معتمدين على ما صحَّ من آثار، مع التنبيه إن احتاج الأمر إلى ما يكون مخالفاً للسنة.

أولاً أسماء المدينة النبوية الثابتة:

١- **المدينة:** قال تعالى: « مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ » الآية (التوبة: ١٢٠).

٢- **يثرب:** اسم المدينة في الجاهلية، واسُتجد لها في الإسلام: المدينة، وطيبة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب،

وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد".

وفي هذا الحديث دليل على كراهية تسمية المدينة بيثرب على ما كانت تسمى في الجاهلية، وأما القرآن فنزل بذكر يثرب على ما كانوا يعرفون في جاهليتهم. قال عيسى بن دينار: من سماها يثرب كُتبت عليه خطيئة. (التمهيد- ابن عبد البر ٢٣/١٧١).

٣- طَيْبَة: جاء في حديث الجساسة، وهو حديث طويل، وهو من رواية فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطعَن بمخصرته في المنبر «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» يعني المدينة. رواه مسلم.

٤- طابة: عن أبي حميد رضي الله عنه أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: "هذه طابة" رواه البخاري.

٥- الدار: قال تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» (سورة الحشر الآية ٩)، والمراد هنا دار الهجرة.

وهناك أسماء أخرى لم نذكرها خشية الإطالة؛ قال المناوي: "لها نحو مائة اسم، وقال الإمام النووي: لا يُعرف في البلاد أكثر أسماء منها ومن مكة". (انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي).

ثانياً: من فضائل المدينة:

١- تحريم صيد المدينة وشجرها على الحلال والمحرم كمكة عند الجمهور، خلافاً لأبي حنيفة، لحديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرمت المدينة، ما بين لابتيها، لا يُقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها» رواه مسلم.

٢- دعاء النبي بالبركة في مكيالها: عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشرف على المدينة فقال: "اللهم أني أحرِّم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم" رواه البخاري، ومسلم.

٣- أنها مُهاجَر النبي صلى الله عليه وسلم: عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المدينة مهاجري ومضجعي في الأرض، حق على أمتي أن يكرموا جيراني ما اجتنبوا الكبائر" المعجم الكبير للطبراني برقم ١٦٨٦٥.

٤- أن الله حماها من الدجال: عن أبي بكرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "لا يدخل المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجال لها يومئذٍ سبْعةُ أبوابٍ على كلِّ بابٍ ملَكَان" رواه البخاري.

٥- تحريم لقطتها إلا لمن يريد تعريفها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي حرم وحرمي المدينة، اللهم إني أحرمها بحُرَمِك أن يُؤوى فيها محدث، ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شوكها ولا تُؤخذ لقطتها إلا لمنشد" رواه أحمد.

٦- يستحب عند الشافعية والحنابلة المجاورة بالمدينة، لما يحصل في ذلك من نيل الدرجات ومزيد الكرامات؛ لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صبر على لأواء المدينة وشدتها، كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» رواه مسلم.

وهناك فضائل وخصائص أخرى للمدينة ذكرها أهل العلم لم نذكرها خشية الإطالة.

ثالثاً: حكم زيارة المسجد النبوي وما يتعلق به:

من أهم معالم المدينة التي يحرص الناس على زيارتها المسجد النبوي، ويستحب زيارة المسجد النبوي استحبابًا مؤكدًا سواءً في موسم الحج أم غيره، واعلم أن الزيارة لا علاقة لها بمناسك الحج كما يتوهم البعض، فيظنون وجوب زيارة المدينة وأنهم إن لم يفعلوا فإن حجهم باطل، وليس الأمر كذلك بل زيارتها بالاجماع سُنَّة مستحبة للصلاة في المسجد النبوي، ولا تختص بوقت دون وقت، ولهذا تجد أن أكثر كتب السلف الفقهية تخلو من ذكر زيارة المدينة عند كلامها عن الحج. ومع هذا فينبغي للحاج إذا فرغ من نُسُكه أن يتوجه نحو المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي الشريف وكذا الروضة الشريفة.

رابعاً: من فضائل المسجد النبوي:

وقد ورد في فضل المسجد النبوي عدة أحاديث منها:

١- أنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال

إلا إليها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" متفق عليه.

٢- أنه أول مسجد أسس على التقوى: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: "هو مسجدكم هذا" لمسجد المدينة.

٣- أن به الروضة الشريفة: عن عبد الله بن زيد المازني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة" متفق عليه.

٤- أن الصلاة فيه مضاعفة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"، وأشير هنا إلى مسائل:

الأولى: هل مضاعفة الأجر يشمل زيادات المسجد؟ اختلف العلماء في مضاعفة الصلاة في المسجد النبوي هل هو مختص بالمسجد والقدر الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يتجاوزه إلى التوسعة والزيادة أو تشمل ما زيد فيه؟قولان للفقهاء:

الأول: وإليه ذهب الحنفية والحنابلة وهو اختيار ابن تيمية، "قال محب الدين الطبري: عن ابن عمر قال: زاد عمر بن الخطاب في المسجد من شاميه، وقال: (لو زدنا فيه حتى تبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أورده ابن تيمية في كتاب الرد على الإخنائي ص١٩٨.

، وقال ابن عابدين من الحنفية: "ومعلوم أنه قد زيد في المسجد النبوي، فقد زاد فيه عمر ثم عثمان ثم الوليد ثم المهدي، والإشارة بهذا إلى المسجد المضاف إليه صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن جميع المسجد الموجود الآن يسمى مسجده صلى الله عليه وسلم، فقد اتفقت الإشارة والتسمية على شيء واحد فلم تلغ التسمية فتحصل المضاعفة المذكورة في الحديث، فيما زيد فيه" حاشية ابن عابدين ١/ ٤٦٠.

قال ابن رجب الحنبلي: "وحكم الزيادة حكم المزيد فيه في الفضل- أيضا- فما زيد في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم كله، والصلاة فيه كله سواء في المضاعفة والفضل. وقد قيل: إنه لا يعلم عن السلف في ذلك خلافٌ، إنما خالف فيه بعض المتأخرين من أصحابنا، منهم ابن عقيل وابن الجوزي، وبعض الشافعية. ولكن قد روي عن الإمام أحمد التوقف في ذلك: قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: الصف الأول في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم: أي صف هو، فإني رأيتهم يتوخون دون المنبر، ويدعون الصف الأول؟ قال: ما أدري. قلت لأبي عبد الله: فما زيد في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو عندك منه؟ فقال: وما عندي، إنما هم أعلم بهذا- يعني: أهل المدينة. (فتح الباري- لابن رجب ٢/ ٤٧٩).

ورجح السمهودي- من المالكية- أن ما زيد في المسجد النبوي داخل في الأفضلية الواردة بالحديث، ونقل عن الإمام مالك أنه سئل عن حد المسجد الذي جاء فيه الخبر هل هو على ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو هو على ما عليه الآن؟ فقال. بل هو على ما هو الآن، وقال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بما يكون بعده وزويت له الأرض فأري مشارق الأرض ومغاربها، وتحدث بما يكون بعده فحفظ ذلك من حفظه في ذلك الوقت ونسي ذلك من نسيه، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم ينكر عليهم ذلك منكر. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٧/ ٢٥٢).

وذهب الشافعية إلى أن هذه الفضيلة مختصة بنفس مسجده صلى الله عليه وسلم الذي كان في زمانه دون ما زيد فيه بعده. وإلى هذا ذهب ابن عقيل وابن الجوزي وجمع من الحنابلة؛ قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: "واعلم أن هذه الفضيلة مختصة بنفس مسجده صلى الله عليه وسلم الذي كان في زمانه دون ما زيد فيه بعده" (شرح النووي ٩/ ١٦٦).

قال ابن عابدين معللاً: "وجهه أنه جعل الإشارة لخصوص البقعة الموجودة يومئذ فلم تدخل فيها

الزيادة ولا بد في دخولها من دليل" (حاشية رد المحتار١/٤٦٠).

وأجابوا عن الإشارة في الحديث بأنها لإخراج غيره من المساجد المنسوبة إليه عليه السلام "إلى المنسوب إليه ولا شك أن جميع المسجد الموجود الآن يسمى مسجده فقد اتفقت الإشارة والتسمية على شيء واحد فلم تلغ التسمية فتحصل المضاعفة المذكورة في الحديث فيما زيد فيه" (حاشية رد المحتار ١/٤٦٠).

المسألة الثانية: هل المضاعفة تعم الفرض والنفل؟

اختلف العلماء في عموم المضاعفة للنفل أم أنها تختص بالفرض على قولين:

القول الأول: يرى جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية- على الصحيح- والحنابلة: أن الأفضلية ومضاعفة الثواب الواردة في الحديث خاصة بالفرائض دون النوافل؛ لأن صلاة النافلة في بيته أفضل من صلاته في مسجده إلا المكتوبة، والدليل عليه حديث زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجر حجرة في المسجد من حصير فصلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليالي حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته فظنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم فقال: "ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن يُكتب عليكم قيام الليل، ولو كُتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم؛ فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"، فأخبر أن فعله النافلة في بيوتهم أفضل منها في مسجده، فدل على أن تفضيل الصلاة فيه إنما هو مخصوص به الفرض (مختصر اختلاف العلماء للطحاوي ٢/٣٤٠).

وقد ورد التصريح بذلك في إحدى روايتي أبي داود لحديث زيد بن ثابت فقال فيها: (صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة) قال العراقي: وإسناده صحيح (نيل الأوطار- الشوكاني ٣/٩٤).

ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم: إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته؛ فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا. (أخرجه مسلم).

لكنَّ المالكية فرَّقوا بين من كان من أهل المدينة وبين من كان من الغرباء عنها، فقالوا: إن صلاة أهل المدينة النفل المطلق في بيوتهم أفضل من فعلها في المسجد، بخلاف الرواتب وما تُسَنُّ له الجماعة؛ فإن فعلها في المسجد أفضل.

القول الثاني: يرى الشافعية- ومطرف من المالكية- أن التفضيل الوارد بالحديث يعم صلاة الفرض وصلاة النفل.

قال النووي: واعلم أن مذهبنا أنه لا يختص هذا التفضيل بالصلاة في هذين المسجدين- أي: المسجد الحرام والمسجد النبوي- بالفريضة، بل يعم الفرض والنفل جميعًا، وبه قال مطرف من أصحاب مالك، وقال الطحاوي يختص بالفرض وهذا مخالف إطلاق هذه الأحاديث الصحيحة (شرح النووي على صحيح مسلم ٩/١٦٤).

لكن يشكل على ذلك ما قاله النووي في شرح المهذب: "صلاة النفل في بيت الإنسان أفضل منها في المسجد مع شرف المسجد؛ لأن فعلها في البيت فضيلة تتعلق بها فإنه سبب لتمام الخشوع والإخلاص وأبعد من الرياء والإعجاب وشبههما حتى أن صلاته النفل في بيته أفضل منها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه". (المجموع ٣/١٩٧).

المسألة الثالثة: هل المضاعفة تشمل صلاة المرأة؟

ذهب جماهير أهل العلم أن صلاة المرأة في المسجد كصلاة الرجل من حيث التفضيل والأجر، وذهب آخرون كابن خزيمة إلى اختصاصه بالرجال؛ لحديث "صلاتك في قعر بيتك خير من صلاتك في حجرتك.. وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي"، قال: فأمرت فبُنِيَ لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل.

وبوَّب عليه ابن خزيمة "باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها على صلاتها في دارها وصلاتها في مسجد قومها على صلاتها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد. (زيارة المدينة النبوية المشروع فيها والممنوع، لفهد عبد الله محمد الحبيشي ص١٣).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

مقاصد الحج

إعداد/ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
إمام المسجد الحرام

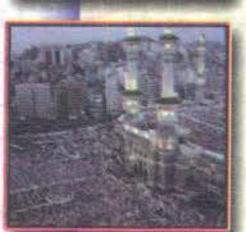

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، نحمدُه سبحانه على فضلِه الدائِم، ونشكُرُه على نِعَمِه العظائِم.

لك الحمدُ حمدًا نستلذُّ به ذكرًا
وإنه لا نُحصي ثناءً ولا شُكرًا
لك الحمدُ حمدًا سرمديًّا مُباركًا
يقلُّ مدادُ البحرِ عن كُنهِه حصرًا

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، شرعَ أركانَ الإسلام على أثبَتِ الدعائم، وأشهدُ أن نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه رفعَ اللهُ به مَنارَ الحقِّ ونكَّس أعلامَ ذوي الجرائم، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه، أئمة الهدى لكلِّ مُريدٍ رائم، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ في بديعِ الشمائلِ وأسمَى الكرائم، وسلَّم تسليمًا دائمًا ديمَ الغمائم.

أما بعد: فاتَّقُوا اللهَ- عبادَ اللهِ-، وسارِعُوا باغتنامِ المواسمِ والنسائم، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: ١٩٧).

عليكَ بتقوى اللهِ سرًّا وجهرةً
ففيها جميعُ الخيرِ حقًّا تأكَّدا
لتُجزَى من اللهِ الكريمِ بفضلِه
مُبوَّأَ صدقٍ في الجِنانِ مُخلَّدا

واجتهدُوا- رَحمكُم الله- في تعظيمِ الشعائرِ والمشاعر، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

معاشرَ المسلمين: ها هي فريضةُ الحجِّ الزَّهراء قد أضاءَتْ في سماءِ الأمة أنوارُها، وتلألأت لياليها وأشرقَ نهارُها، وعَبَقَتْ بالبشائر أزهارُها، وبالخيراتِ والبركاتِ ثمارُها، وسَطَعَتْ في أفئدةِ الحجيجِ فضائلُها وآثارُها، وها هي طلائعُ وفودِ بيتِ اللهِ الحرامِ قد أناخَتْ مطاياها، وحطَّت ركائبَها.

حطَّت مواكبُ للحَجيجِ متاعَها
والكلُّ من فرطِ السعادةِ يجأرُ

أهلاً بكم ومَرحبًا وفودَ الرحمنِ في مهدِ الدينِ والإسلام، في مَوئلِ الإجلالِ والإعظام، في مكةَ المكرَّمة، أقدسِ الديارِ والبقاع، وأطهرِ الأرجاءِ والأصقاع.

مرحبًا بالوفودِ من كلِّ طائفٍ
والمُلبِّين بين بادٍ وعاكفٍ

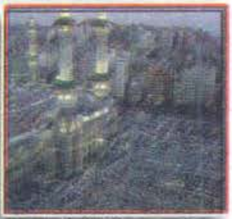

مرحبًا بالإخاء في ألق الشمس
وبالطهر في نقيّ المعاطف

أنتم- يا حُجّاجَ بيت الله الحرام- في مكة البلد الحرام، وما أدراكم ما مكةُ البلدُ الحرام! بها الكعبةُ الغرّاء المعظّمة، والقبلةُ الميمّمة، على ثراها أشرقت شمسُ الهداية، وعلى رُباها رُفعت للحقّ أعظمُ راية. قنّةُ الأمن والأمان، بيتُ الله الحرام،

تهفو له النفوسُ وتشتاق،
وتفديه بالمهج والأحداق.
إذا عاينَتْه العينُ زالَ ظلامُها
فلا يعرفُ الطرفُ المعاينُ حُسنَه
إلى أن يعودَ الطّرفُ والشّوقُ أعظمُ
فمن أجل ذا كلُّ القلوب تُحبُّه
وتخضعُ إجلالًا له وتُعظِّمُ

أيُّها الحجاجُ الميامين: اشكُروا الله على ما منَّ به من سلامة الوصول، وحُصولِ المأمول، واستحضرُوا دومًا عظمةَ المكانِ وحُرمَته، وطهارتَه وقداسَتَه. فأنتم في رحابِ البيت العتيق؛ حيث تُسكبُ العبرَات، وتُجابُ الدّعوات، وتُغفرُ الزلّات، وتُقالُ العثرات، فليكن حالَكم ذكرٌ وترتيل، وتلبيةٌ، وقنوتٌ، وخشوعٌ، ورجاءٌ، وخُفوت، ودعاءٌ، ونداءٌ، وتضرعٌ بأبهى النُّعوت، ودموعٌ تتحدرُ على الوَجناء، واستغفارٌ للذنوب والحوباء، واستمناحٌ للعفو وكريم الفضل والجزاء.

معاشرَ المؤمنين: هذا البلدُ المبارَك اختصَّه الباري- جلّ في عُلاه- بخصائصَ وفضائلَ عظام، من أهمِّها: إضافتُه إلى ذاته العَليّة، قال- جل وعلا-: (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ) (الحج: ٢٦).

والماعًا بفضله وإشادةً بنُبله، أقسَم به في مواضعَ من كتابه العزيز، وما تعددُ الأسماء لهذا المكان المبارَك، إلا دَلالةٌ على فضل المبنى، وطيب المعنى والمغنى والمغزى، وسموُّ المُسمَّى. واعلم بأنَ كثرةَ الأسامي دلالةٌ أن المسمَّى سامي.

وفي قسَم يَهمي حُبًّا ووُلوعًا، ويزخرُ شوقًا ونُزوعًا، يقول- صلى الله عليه وسلم- عن مكةَ شرَّفها الله: «والله إنّك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله» (أخرجه الترمذيّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»).

أمة الإيمان: وهذه العَرَصات، والبطاحُ المبارَكات قد سوَّرَها الباري بالأمن والتّحريم، فهي منطقةٌ آمنةٌ حرامٌ إلى يوم القيامة، يقول- جل شأنُه-: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) (العنكبوت: ٦٧)، ويقول- سبحانه-: (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ) (القصص: ٥٧)، ويقول- سبحانه-: (وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) (البقرة: ١٢٥).

يطمئنُّ فيه المضطربُ القلق، ويأمَنُ في جنَباته الفزِعُ الفَرِق، يقول- صلى الله عليه وسلم-: «إنَّ هذا البلدَ حرَّمَه الله يومَ خلق السماوات والأرض، فهو حرامٌ بحُرمَة الله إلى يوم القيامة» (متفقٌ عليه).

وهذا الأمنُ المكين، والأمانُ المتين لم يثبُت بالتقرير والتأصيل فحَسب؛ بل استقرّ واشمَخرّ بالوعيد والزّجر الشديد الأكيد لمن حاوَل خَرقه، أو رامَ فتقه، (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج: ٢٥).

ذلك لمن همَّ، فكيف بمن يُباشر؟! فالأمرُ أنكرُ وأخطر. الله أكبر! إنها دعوةُ الخليل إبراهيم- عليه السلام-: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ) (إبراهيم: ٣٥).

تلكُم هي مكّةُ المكرَّمة، مكةُ الإسلام والإيمان والتأريخ والشموخ، مكةُ التوحيد والأمن والأمان والرُّسوخ، وذلك غيضٌ من فيض عظمَة أم القُرى، وأشرف بقاع الوَرَى.

سأعشقُ موطنَ القُربى وإنّي
على حُبِّ القداسةِ لن أُلاما
فتلك مواطنُ الذِّكرى سَناها
على الآفاق يكتسحُ الظلاما

أمة الإسلام: الحجُّ عبادةٌ من أعظم العبادات، له من المقاصد والمنافع، والحِكَم والآداب ما ينبغي لكل حاجٍّ أن يستشعرَه، ليحصُلَ له بِرُّ الحجّ، ويعودَ بشيءٍ من منافعه وآثاره.

فأهمُّ المقاصد والغايات، وأعظم الحكم والواجبات: أن يكون الحجُّ مُنطلقًا لتحقيق التوحيد الخالص لله، (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا) (الحج: ٢٦).

والتّجافي عن كل ما يُخالفُ الكتابَ والسنّة، ومن كل عقيدة لم يكن عليها سلَفُ هذه الأمة.

لقد آنَ لنا أن نأخُذَ من هذا التجمُّع الإسلاميِّ

العظيم الدروسَ والعبرَ في الوَحْدَة والتضامن، والبُعد عن الفُرقة والتعصُّب، والتشاحُن والتحزُّب، وتجاهُل المُزايَدات والشائعات، والتصدّي للمَقُولات الكاذبات. وإنّ على الأمة الإسلامية جميعًا أن تكون مُدركةً واعيةً لحمَلات استهدافها من وسائل إعلام مُعاديةٍ، ومن دُعاة الشرِّ والفتنة، مما يتطلَّبُ توخِّي الدقَّة، والتثبُّت والحكمة، واجتماع الكلمة.

ألا فلتكن الانطلاقةُ لحلِّ مُشكلات الأمة المتأزمة ضَعفًا وانقسامًا، فُرقةً واختلافًا، من هذا المكان المبارك، مهبط الوحي، ومنبَع الرسالة، وعلى رأس هذه القضايا المتأزمة: قضية الزمان، قضيةُ العقيدة والإيمان «قضية فلسطين، والمسجد الأقصى الأسير»؛ حيث اعتادَ الصهاينةُ المعتَدون رفعَ عقيرته في انتهاك حُرمَته، والمحاولات المتكررة للنَّيل من شمُوخه وعزَّته.

وكذا بلادُ الشامُ الصابرة، وقد لاحَت بُشرياتُ النصر- بإذن الله- وهبَّت نَسائمُه من دمشق الصامدة، وحلب الشهباء. وأين نحن من مُسلمي بُورما وأراكان، وإخواننا في العراق واليمن؟!

أليست لهذه الأمصار حقوقٌ على عموم المسلمين قبل خاصَّتهم؟! فها هو الزمانُ والمكانُ وقد تُوِّجا بمناسبة المناسبات: فريضة الحج، فاجعَلُوها- يا رعاكم الله- انطلاقةً للوحدة على أساس التوحيد؛ فإن شعائر الإسلام تَجْمَعُ ولا تفرِّق، وتؤلِّف ولا تُشتِّت، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران: ١٠٣).

معاشرَ الحجَّاج الكرام: ما أروعَ أن يستشعرَ الحاجُّ والزائرُ مكانةَ هذا البيت العتيق، وقداسَةَ هذه البقاع المباركة، وما أحيطت به من التعظيم والمهابة، فلا يُسفَكُ فيها دم، ولا يُعضَد فيها شجَر، ولا يُنَفَّرُ فيها صيد، ولا تُلتَقَطُ لُقَطَتُها إلا لمن عرَّفها، ولا يجوزُ أبدًا أن يُحَوَّلَ هذا المكان إلى ما يُنافي مقاصدَ الشريعة ومنهجَ الإسلام، ولا تكونُ فيه دعوةٌ إلا لله وحده، ولا يُرفعُ فيه شعارٌ إلا شعارُ التوحيد لله والتلبيَة: «لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ».

وفي «صحيح مسلم»، من حديث جابر- رضي الله عنه- في سياق حجَّة النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «أهلَّ رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- بالتوحيد».

ولا يحل لمن يُؤمنُ بالله واليوم الآخر أن يُؤذيَ فيه المسلمين، أو يُروِّعَ الآمنين، أو يصرفَ الحجَّ إلى ما يُخالفُ سُنَّةَ سيد المرسلين؛ فالحجُّ فريضةٌ وعبادةٌ وتقديس، ليس محلاً للشعارات والتسييس، ولا مجالاً للسياسة والشعارات، أو المسيرات والمُظاهرات، أو المناظرات والمُزايَدات، أو الجدال والمُناسبات، ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧).

لا وألفُ لا لمن يريدُ تحويلَ الشعائر والمشاعر إلى تسجيل مَواقف، أو تصفيَة حسابات.

إن أَمن الحرمين وقاصديهما خطٌّ أحمر لا يجوزُ تجاوُزُه، ولا يُسمَحُ بانتهاكه، أو زَعزَعَة أمنه، أو إحداث أي نوع من الفوضى والتشويش فيه، والإثارة والبلبَلة، أو مُخالفَة الشرع والنظام.

الحجُّ فريضةٌ من أعظم الفرائض، وهي ليست شعاراتٍ سياسيةً، ولا دعواتٍ عنصريةً وطائفيةً، وإنما هي رحلةٌ إيمانيةٌ، مُفعَمةٌ أجواؤُها بالمعاني السامية، والأهداف النَّبيلة، وفرصةٌ عظيمةٌ للتوبة إلى الله، والإقبال عليه- سبحانه-، ولُزُوم صراطه المستقيم بعيدًا عن اللوثات العقدية والفكرية، والمخالفات المنهجية والسلوكية.

فاغتنمُوا- يا رعاكم الله- فيه الأوقات، ولا تُضيِّعُوها في الجدالات والمُساجَلات، فلعلَّ بعضَكم لا يتمكَّنُ من تَكرار المجيء، فيندمُ حيثُ لاتَ ساعةَ مندَم.

وإن من المقاصد الشريفة، والحكَم المنيفة، التي تغَيَّاها الإسلامُ من شرعة الحجِّ، ما عَمَدَ إلى الروح وما أكنَّت من رُعُونَات كي يُرقيَها، وشخَص إلى الجوارح وما اجترحَت من آثام ليُزكيَها، وإلى المدارك والحواسِّ، وما احتَقَبَت من أوزار فيُجليَها، وأشراطُ هاتيك المعاني: ما وصَّى به النَّبيُّ العدنان- صلى الله عليه وسلم-؛ حيث قال: «من حجَّ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسُقْ؛ رجَعَ كيوم ولدَتْه أمُّه» (متفق

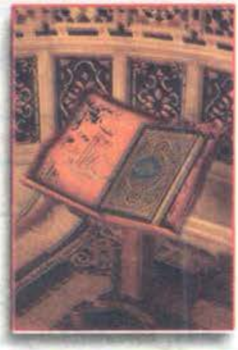

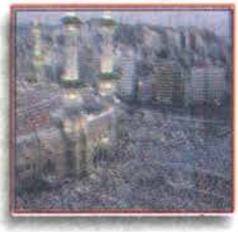

عليه).

ألا وإن من فضل الله وعظيم آلائه، وجزيل نعمائه، ما مَنَّ به على هذه الأمة من تمكين الحرمين الشريفين، وما ينعمان به وقاصدوهما من أمن وأمان، واستقرار واطمئنان، وما هيَّأ لهما من قيادة حكيمة تشرُف بخدمتهما ورعايتهما، وتقدِّم لقاصديهما منظومة متكاملة من بديع الخدمات، لتحقيق جليل الآمال والطموحات.

فيا حُجَّاج البيت الحرام:

كونوا عونًا لإخوانكم من رجال الأمن الأماجد، الذين يحفظون النظام، ويوجِّهون الحشود لمنع التزاحم والتدافع، والمرابطين على الثغور والحدود لحفظ المقدَّسات، بالدعاء لهم، وتثمين دورهم.

وتعاونوا مع القائمين على خدمتكم من الجهات الإشرافية على الحرمين الشريفين، إداريًّا وأمنيًّا، فإنهم يعملون بدأب واجتهاد. فكم أعدوا ورتَّبوا، ونسَّقوا وخطَّطوا لخدمتكم، وإنهم ليضحُّون لراحتكم، ويبذُلون الغالي والنفيس من أجل سلامتكم، فلا تترددوا في الرجوع إلى جهات الإرشاد والفتوى الموثوقة، إذا أشكل عليكم أمرٌ من أمور دينكم، وشعائركم، ومناسككم، فهي- بفضل الله- مُنتشرةٌ في الأرجاء والساحات.

عباد الله.. حُجَّاج بيت الله:

اجعلوا من حُسن أخلاقكم عُنوانًا لكم، ساعدوا الضعيف والمحتاج، وأرشدوا التائه بلطف وابهاج، وعليكم بالسَّكينة والوَقار، والرأفة والتراحُم، وتجنَّبوا الإيذاء والتزاحُم، وسدِّدوا وقاربُوا، واشكُروا ربَّكم أن ذلَّل لكم الصِّعاب، ومكَّنكم من الوصول إلى بيته الحرام في أمن وأمان، ويُسر وسلام، فالحجُّ عبادةٌ وسلوكٌ حضاريٌّ، وهو رسالةُ أمن وسلام، ومحبَّة ووئام، ومودَّة واعتصام، لا فرقة وانقسام.

يا أمَّتي استقبِلوا حجَّكم برُوح تُقى
وتوبةَ الصِّدق فالتأخيرُ إغواءُ
ربَّاهُ عفوًا وتوفيقًا ومغفرةً
وجُدْ بنصر فإن النصرَ علياءُ

حفظَ الله حُجَّاج بيته الحرام، وأدامَ أمنَهم وأمانَهم، ورخاءَهم واستقرارَهم، وأتمَّ عليهم مناسكَهم بكل يُسر، وكتَبَ لهم عظيمَ المثوبة والأجر، وجعَل حجَّهم مبرورًا، وسعيَهم مشكورًا، وذنبَهم مغفورًا، وأعادَهم إلى بلادهم سالمين غانمين، مأجورين غير مأزورين، إنه جوادٌ كريم.

هذا وصلوا وسلموا- رحمَكم الله- على النبيِّ المصطفى، والحبيب المُجتبَى، كما أمرَكم بذلك ربُّكم- جل وعلا- ، فقال تعالى قولاً كريمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا».

يا ربِّ صل وسلم كلما لمعَت
كواكبٌ في ظلام الليل والسَّحَرِ
وآله وجميع الصحب قاطبةً
الحائزين بفضل أحسنَ السِّيَرِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللهم عن الأئمة الخلفاء، الأربعة الخلفاء الحنفاء، ذوي الشرف الجليِّ، والقدر العليِّ: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن سائر الصحابة أجمعينَ، والتابعين ومن تبعَهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وسلِّم الحُجَّاجَ والمعتمرين، وسلِّم الحجَّاج والمعتمرين، واحمِ حَوزةَ الدين، واجعَل هذا البلد آمنًا مُطمئنًّا وسائرَ بلاد المسلمين.

اللهم آمنَّا في أوطاننا، اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأدم الأمنَ والاستقرارَ في رُبُوعنا، ووفِّق أئمَّتنا وولاةَ أمورِنا، وأيِّد بالحقِّ إمامَنا ووليَّ أمرنا، اللهم وفِّقه لما تحبُّ وترضَى، وخُذ بناصيته للبرِّ والتقوى، وهيِّئ له البطانةَ الصالحة واجزِه خير الجزاء على ما قدَّم للحرمين الشريفين، وللحُجَّاج والمعتمرين، ولقضايا الإسلام والمسلمين في كل مكان يا حيُّ يا قيُّوم، يا ذا الجلال والإكرام.

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

الحلقة الثانية

قواعد شرعية وآداب اجتماعية (مع الشباب)

إعداد/ عبد الرحمن صالح الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال حديثنا موصولا عن قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الشباب في اللغة: الفتاءُ ويجمع على شبيبة وشبان. (القاموس المحيط ص١٢٧).

قال الأزهري: الشباب جمع شاب، ويجمع على شُبَّان، بضم أوله وتشديد الباء ولم يجمع فاعله على فعلان غيره، وأصل المادة: الحركة والنشاط وهو من البلوغ إلى بلوغ الأربعين.

وقد يطلق على المولود غلام إلى أن يشبَّ. (بلوغ المرام ج١).

وتمتاز هذه المرحلة بالطاقة والحيوية، وتوقد الذهن، والنشاط والهمة.

وهناك خصائص لهذه المرحلة كثيرة يصعب حصرها في هذا البحث، وما يعنينا هنا تحديدًا معرفة المؤثرات الداخلية والخارجية المحيطة بالشباب، والتي بدورها تؤثر في تكوين شخصيته.

تعريف الشخصية:

جاء في تعريف الشخصية بأنها نظام متكامل من الصفات التي تميز الفرد عن غيره.

وفي الشريعة تمتد مرحلة الشباب إلى سن الأربعين حيث كمال العقل والنضج، ولهذا كانت بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام عند هذا السنّ غالبًا.

المشكلات التي يتعرض لها الشباب:

يرى الباحثون أن المشكلات التي يتعرض لها الشباب خلال هذه المرحلة تنقسم إلى أنواع بحسب حجمها واتساعها وشمولها لحياة الشاب، فمنها:

١- مشكلات يسيرة.

٢- مشكلات معقدة.

٣- مشكلات مؤقتة.

٤- مشكلات مزمنة وذات تأثير فعال.

وفي وقتنا الحاضر يصعب حصر المشكلاتُ التي يعاني منها الشباب المسلم وخاصة في عالمنا الإسلامي الواسع الممتد، وتحديدًا بعد موجات الانفتاح والتغريب والعولمة، ودخول الأفكار الدخيلة والسلوكيات الشاذة في وسط المجتمع المسلم.

ولعل الظاهر الأكثر بروزًا وانتشارًا في أوساط الشباب وإن كان لا يخلو منها الكبار بطبيعة الحال هي ظاهرة الأنانية، والتملق، والرشاوى، والكذب، واحتقار العمل، وضعف العقيدة، واحتقار العلم، والغرور، والرعونة، والعجلة، وعدم الروية، وطغيان المظاهر، وتلكم هي ضريبة الحضارة المعاصرة.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: واقع كثير من شباب الصحوة، الذين يرد بعضهم على بعض، ويطعن بعضهم في بعض للضغينة لا النصيحة، ووصل تعديهم وشرهم إلى بعض العلماء وأفاضلهم، ونبذوهم بشتى الألقاب، غير متأدبين بأدب الإسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»، ومغرورين بنتف من العلم جمعوه من هنا وهناك حتى توهموا أنهم على شيء، وليسوا على شيء؛ كما جاء في بعض أحاديث الفتن، وصرفوا قلوب كثير من الناس عنهم، بأقوال وفتاوى تنبئ عن جهل بالغ، مما يذكرنا بأنهم من الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا يتنزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤسًا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». متفق عليه. اهـ.

مرحلة الشباب والتعامل معها:

إذا عرف الشيوخ مرحلة الشباب وطبيعتها وما قد يكتنفها من مشكلات ومؤثرات أمكن بعد ذلك بسهولة معالجة كل شاب وما قد ينقصه أو يميزه بين أقرانه وقدوتنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان من هديه معالجة كل حالة بما يناسبها.

وإذا حصل التفاهم بين الشباب والشيوخ أمكن بعد ذلك تلافي الإعراض عن بعضهم البعض أو الكفّ عن إلقاء لوم كل طرف على الطرف الآخر، وأمكن حينئذ من العمل سويًا كما أمرنا الله تعالى أمة واحدة قوية، فالشباب هم محل العزيمة والقوى والهمة العالية، والشيوخ هم محل الخبرة والتجارب والآراء الموفقة السديدة والرسوخ في العلم والحكمة، والله أعلم.

مرحلة الشيخوخة والتعامل معها:

وهي مرحلة عمرية تمتد من الستين إلى آخر العمر، واختلف في تحديدها على وجه الدقة.

وكلمة شيخ تطلق على من التزم الإسلام علمًا وعملاً، وتطلق على شيخ القبيلة أي رأس القبيلة، أو على شيخ القرية، أو شيخ البلد، ويُقصد به السيد من سادات الناس الذي يُرجع إليه في حال مداهمة الخطوب أو النوازل للاستنارة بآرائهم وخبراتهم في الحياة.

والشيخ يطلق على من استبانت فيه السن وظهر عليه أثره من الشيب وتجمع الكلمة على أشياخ وشيوخ، والأنثى شيخة.

وقد يطلق لفظ الشيخ للتبجيل والاحترام وإثبات الخبرة.

ويبين الدكتور عبد الرحمن عيسوي أهمية دراسة مرحلة الشيوخة فيقول: «كلما زادت معرفتنا بالشيخوخة كلما زاد حسن تعاملنا مع الشيوخ، وكلما زاد فهم أنفسنا، ودراسة الشيخوخة تفيد طالب الاجتماع وعلم النفس، كما تفيد المشتغلين بعلوم الحياة والصحة العامة والطب العقلي والخدمة الاجتماعية ورجال الأعمال ورجال الصناعة، كما تفيد محبي الثقافة العامة ورجال القضاء والمصلحون الاجتماعيون والزعماء الساسة». (الشيخوخة، د. عبد الرحمن عيسوي، ص١٤).

أنواع الشباب:

هناك ثلاث أنماط من الشباب وهي:

١- الشاب المطيع للغاية.

٢- الشاب ذو الطموح الحماسي.

٣- الشاب الثائر.

وينقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- الشاب الجانح.

ب- الشاب البوهيمي، وهو المبالغ في مظهره أو في زهده في الحياة.

وهذا التقسيم يتناسب مع طبيعة المرحلة التي يمر بها الشاب ويخضع كذلك لمؤثرات البيئة الخارجية.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تتقدم مجلة التوحيد بخالص التهنئة إلى الباحث سيد سيد محمد عبد العال، وذلك لحصوله على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالزقازيق، وكان موضوع رسالته: «القسم السابع من المعجم الأوسط للطبراني دراسة وتحقيق».

بإشراف كل من:

١- أ.د محمد محمود أحمد هاشم، أستاذ الحديث وعلومه، مشرفًا أصليًا.

٢- أ.د إبراهيم علي السيد علي عيسى، أستاذ العلوم وحديثه مشرفًا مساعدًا.

وقد تكونت اللجنة من كل من:

١- أ.د سعيد مصطفى السيد عسكر، أستاذ الحديث وعلومه، مناقشًا داخليًا.

٢- أ.د محمود عمر هاشم، مناقشًا خارجيًا.

وأسرة مجلة التوحيد تتمنى للباحث مزيدًا من التوفيق والنجاح.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاستقامة في اتباع القرآن والسنة

قال الله تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (الأنعام: ١٥٣).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلح بن المتخاصمين

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ أهل قباء اقتتلوا حتَّى تراموا بالحجارة، فأُخْبِرَ رسول الله صلَى الله عليه وسلَم بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم». (صحيح البخاري).

من فضائل الصحابة

عن أيوب السختياني قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون؛ القاسم بن محمد، وسليمان وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان". (السنة للخلال).

من دلائل النبوة

إخباره عن بعض المغيبات

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيتني في الحِجْر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربًا ما كربت مثله، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم". (صحيح مسلم).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك. فقلت: يا رسول الله! آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم؛ إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء" (جامع الترمذي).

خلق حسن فالزمه

كتب عمر بن الخطَّاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما: «أمَّا بعد، فإنَّ الخير كلَّه في الرِّضى، فإن استطعت أن ترضى وإلَّا فاصبر». (مدارج السالكين).

إعداد/ علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"الهوى مغفور لصاحبه ما لم يعمل به أو يتكلم" أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٢/٢٥٩ و٧/٢٦١) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

حكم ومواعظ

عن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب الله: «إنما يتقبل الله من المتقين» (المائدة: ٢٧). (كتاب المحتضرين ابن أبي الدنيا).

من أقوال السلف

كان الشافعي رحمه الله يقول: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله، ودعوا ما قلت".

(صفة الصفوة).

من معاني الأحاديث

(ضجع) فيه «كانت ضجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أدمًا حشوها ليف». الضِّجعة بالكسر: من الاضطجاع، وهو النوم، كالجِلسة من الجلوس، وبفتحها المرة الواحدة. والمراد ما كان يضطجع عليه. (النهاية في غريب الأثر لابن الأثير).

من حكمة الشعر
قال صالح بن عبد القدوس:

دع عنك ما قد كان في زمن الصِّبا
واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فإنَّه
لا بدَّ يُحصَى ما جنيت ويُكتَب.

(نضرة النعيم).

خلق سيئ فاحذره

قال عليّ رضي الله عنه: "أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع". (نضرة النعيم).

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

حجاب المرأة المسلمة (٢)

الحلقة (٩٣)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في الحلقة السابقة ذكرت نصيحة للمرأة المسلمة بالتزام أمر الله تعالى لها بالحجاب، وأن حجابها هو جزء من كل، هذا الكل هو منهج متكامل لإقامة المجتمعات الإسلامية. وأن الحجاب فريضة من الله تعالى على المرأة ليس لها فيه الخيار أن ترتديه أو لا ترتديه، وأن ترك الحجاب كبيرة من الكبائر.

ثم ذكرت شروط الحجاب الثمانية التي ينبغي أن تتوافر في حجاب المرأة، وفي الشرط الأول من الشروط التي ينبغي توافرها في حجاب المرأة المسلمة وهو: استيعاب جميع البدن. قلت إني سأعود إلى هذا الشرط بالتحقيق والتفصيل، إذ كان الدافع لكتابة هذا البحث هو ما يقوله بعضهم الآن من أن النقاب ليس له أصل في الشرع وأنه عادة يهودية، وفي المقابل يقول آخرون بأن النقاب أجمع عليه العلماء والفقهاء من سلف الأمة ووصل الحال ببعض من كتب في هذه المسألة أن نسب من قال بجواز كشف الوجه والكفين إلى البدعة والجهل والهوى!! وكالوا السهام كيلاً للشيخ الألباني- يرحمه الله- على أنه تفرد بهذا الرأي مخالفًا ما أجمع عليه العلماء!! ونحن سنبحث هذه المسألة بهدوء وحسب ضوابط البحث العلمي، وهل كما قيل أن القول بجواز كشف الوجه والكفين ليس له أصل عند السلف، وأن هذا هو كلام الشيخ الألباني وبعض علماء مصر وسوريا فقط.

أولاً: آيات الحجاب:

نذكرها حسب ترتيبها في المصحف، وننقل أقوال أئمة التفسير حول هذه الآيات:

١- من سورة النور: قال الله تعالى: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» (النور: ٣١)، وسنركز على قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) إذ هو موضع البحث.

" أقوال قدامى المفسرين في الآية:

- تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، وهو أقدم تفسير مطبوع بين أيدينا)، قال عن قوله تعالى: «إلا ما ظهر منها»: يعني الوجه والكفين (انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١٩٦/٣).

- تفسير ابن وهب (ت ١٩٧هـ) قال: أخبرني جرير بن حازم قال سمعت محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن قول الله (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)، قال: وأخذ عبيدة ثوبه فتقنع به وأخرج إحدى عينيه (وهذا الأثر صحيح وسنعود إليه عند تفسير الإدناء) (انظر تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ٤٠/٢).

- تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) ذكر بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (إلا ما ظهر منها): قال: الثياب وذكر عن الحسن مثل ذلك. ثم ذكر بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما ظهر منها) قال: الكحل والخاتم، وعن قتادة مثل ذلك. وقال السدي: (إلا ما ظهر منها): يعني: إلا ما بدا في الوجه والكفين (انظر تفسير يحيى بن سلام ١/٤٤٠).

- تفسير عبد الرزاق (ت ٢١١هـ) قال: عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) قال: المسكتان (السواران)، والخاتم والكحل، وذكر بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) قال: هو الكف، والخضاب، والخاتم، ونقل عن الزهري: قال يرى الشيء من دون الخمار، فأما أن تسلخه فلا (انظر تفسير عبد الرزاق، ٢/٤٣٣- ٤٣٥).

- تفسير الطبري شيخ المفسرين (ت ٣١٠هـ)، قال عن قوله تعالى (إلا ما ظهر منها)، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية، فكان بعضهم يقول: هي الثياب الظاهرة، وذكر بأسانيده من قال ذلك عن ابن مسعود، وإبراهيم النخعي والحسن ثم قال: وقال آخرون: الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبديها الكحل، والخاتم، والسواران (الكفان)، والوجه، وذكر من قال ذلك: ابن عباس، سعيد بن جبير، عطاء، قتادة، مجاهد، عامر، ابن زيد، الأوزاعي، الضحاك، وقال آخرون: الوجه والثياب، وذكر من قال ذلك: الحسن ثم رجح الطبري قول من قال إن ما ظهر منها تعني الوجه والكفين، فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك: الوجه والكفان، يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب (انظر تفسير الطبري ١٩/١٥٥-١٥٩).

وسنقف على تفسير الطبري ومع أسانيده التي ذكرها عن السلف، وهي مرويات كثيرة، سنكتفي بالوقوف على الصحيح أو الحسن منها وعدم ذكر الضعيف:

أ- حدثني يونس (ابن عبد الأعلى) قال أخبرني ابن وهب (عبدالله بن وهب) قال أخبرني الثوري (سفيان) عن أبي إسحاق الهمداني (السبيعي) عن أبي الأحوص (عوف بن مالك) عن عبدالله (بن مسعود) أنه قال: «ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها» (النور: ٣١) قال: هي الثياب (وهذا إسناد صحيح رواته أئمة ثقات)، وسنكتفي على هذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه، مع وجود روايات أخرى صحيحة أن الزينة هي الثياب).

ب- حدثنا سفيان (الثوري)، عن علقمة (ابن مرثد الحضرمي) عن إبراهيم (النخعي) في قوله: (إلا ما ظهر منها) قال: الثياب (وهذا إسناد صحيح).

ج- حدثنا ابن بشار (بندار) قال ثنا ابن أبي عدي (محمد بن إبراهيم ابن أبي عدي) عن سعيد (ابن جبير) عن قتادة قال: الكحل والسواران والخاتم (وهذا إسناد صحيح).

د- حدثنا يونس (ابن عبد الأعلى) قال أخبرنا ابن وهب: قال: قال ابن زيد (جابر بن زيد أبو الشعثاء) في قوله: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) من الزينة، الكحل والخضاب والخاتم، هكذا كانوا يقولون، وهذا يراه الناس (وهذا إسناد صحيح).

هـ- حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر، قال: قال يونس (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)، قال الحسن: الوجه والثياب (وهذا إسناد صحيح، صححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة لابن تيمية).

تفسير الزجاج (ت ٣١١هـ): قال: التي تظهر هي الثياب والوجه (انظر معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٩).

تفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) (إلا ما ظهر منها) ذكر عن ابن عباس أنها الوجه والكفان، قال: وروى عن ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعكرمة وأبي صالح، وزياد بن أبي مريم نحو ذلك. ونقل عن ابن مسعود أنها: الرداء: قال: وروي عن الحسن، وابن سيرين، وأبي صالح في إحدى الروايات، وأبي الجوزاء، وإبراهيم في إحدى الروايات نحو ذلك (انظر تفسير ابن أبي حاتم ٨/٢٥٧٤-٢٥٧٥).

- تفسير الماتريدي: ت ٣٣٣هـ: ذكر عن ابن مسعود: الرداء والثياب، وعن ابن عباس: الكحل والخاتم، وفي رواية: الكف والوجه ثم قال مرجحًا قول من قال:

الوجه والكفين. وقال: ونرى- والله أعلم- أن النظر إلى وجه المرأة ليس بحرام إذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة، فإذا وجد لذلك شهوة، ولم يأمن أن يؤدي به ذلك إلى ما يكره فمحظور عليه أن ينظر إليها إلا أن يريد به معرفتها والنكاح- ثم قال: وأحسن للشابة وأفضل لها أن تستر وجهها ويديها عن الرجال، ليس لأن ذلك حرام واليها معصية، ولكن لما يُخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بها ثم قال: (جائز أن يكون قوله: (إلا ما ظهر منها) إنما يباح النظر إلى الوجه للحاجة، وأما على غير الحاجة فلا يباح. (انظر: تفسير الماتريدي ٧/٥٤٣-٥٥٠).

- تفسير الماوردي: ت ٤٥٠هـ: في قوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها الثياب، قاله ابن مسعود رضي الله عنه، الثاني: الكحل والخاتم، قاله ابن عباس والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم. الثالث: الوجه والكفان، قاله الحسن، وابن جبير، وعطاء، (انظر تفسير الماوردي ٤/٩٠-٩١).

- تفسير البغوي (ت ٥١٠ هـ): قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) أراد به الزينة الظاهرة، اختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان، وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١)، وأراد بها الثياب، وقال الحسن: الوجه والثياب، وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف... ثم قال: وإنما رخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره (انظر تفسير البغوي ٣/٤٠٣).

- تفسير العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) قال: (إلا ما ظهر منها): الثياب أو الكحل والخاتم أو الوجه والكفان (انظر تفسير العز بن عبد السلام ٢/٣٩٨هـ).

- تفسير القرطبي ت ٦٧١هـ: قال عن قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها): واختلف الناس في قدر ذلك، فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة الثياب، وزاد ابن جبير الوجه، وقال سعيد بن جبير أيضًا وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب، وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار.. ثم نقل عن ابن عطية قوله: ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه، أو إصلاح شأنه ونحو ذلك فـ(ما ظهر منها) على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفوّ عنه. ثم قال القرطبي هذا قول حسن، إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعًا إليهما (انظر تفسير القرطبي ١٢/٢٢٨-٢٣٠).

- تفسير ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ذكر القولين أيضًا عن ابن مسعود: أنها الثياب (وبقوله قال الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم)، وعن ابن عباس: الوجه والكفان والخاتم، (قال وروي ذلك عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي، وغيرهم)، ونحو ذلك، ثم قال ابن كثير: ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير (إلا ما ظهر منها) بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور (انظر تفسير ابن كثير ٦/٤٥).

وهذه أقوال بعض قدامى المفسرين في تفسير قوله تعالى (إلا ما ظهر منها). وقد رأينا أنهم حكوا الخلاف في المسألة بداية من الصحابة والتابعين، ولم أذكر بالطبع كل التفاسير، فهذا أمر يطول، لكنها تتشابه مع ما ذكرت من كتب التفسير.

وسبب الخلاف- من وجهة نظري- أن الآية ليست قطعية الدلالة، في وجوب ستر الوجه أو جواز كشفه، لذا فقد احتج بها صاحب كل قول، وخلاصة ما ذُكر في كتب التفسير حول هذه الآية ثلاثة أقوال ١- أنها الثياب ٢- أنها الوجه والكفان ٣- أنها الثياب والوجه، وأصحاب القول الأول يقولون بوجوب النقاب وأصحاب القولين الآخرين يقولون باستحبابه.

والبحث لا يزال متصلاً، وسنعرض لكل دليل بالتفصيل بإذن الله تعالى.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

أُصُولُ الآدابِ وَجَوامِعُ مَكارِمِ الأَخْلاقِ

الأمانة في زمن الزمانة

الحلقة التاسعة

علاجُ ضَعفِ الأمانَة (٤)

جِيلُ الصَّحابَةِ هُوَ جيلُ الأمانَةِ

إعداد/ د. عماد محمد علي عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة قديمًا وحديثًا وصلى الله على نبينا محمد الذي اتخذه الله خليلاً، وجعله أصدق الناس حديثًا وعلى آله وأصحابه ساروا على سنته سيرًا حثيثًا وعلى أتباعه وأحبابه ومن تبعهم من أهل العلم والفضل والخير فأكرم بهم وارثًا وموروثًا، وبعد فهذا مقال أبين فيه عن تربية نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم على خلق الأمانة الذي كان أكثر الناس به عملاً ووصفًا فأقول في ذلك:

ثامنًا: تربية الجيل على الأمانة:

ويظهر أَثَرُ ذلك في تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جيلَ أصْحابه على الأمانَة:

التَّربيَةُ على منْهَاجِ ودعَائم النُّبُوة هي المخْرَجُ مما وصفتُ بأن تجْعَل حُسْنَ الخُلق جُنَّةً تترَّسُ بها، وأن تَخْلعَ عن نفْسك خلْعَةَ الغَفْلة والتَّغفيل والجهْل والتَّجْهيل، وأن تقْطَع أذْيَال الشَّكِّ والتَّضْليل وأن تطوف على أبواب الخير والأخلاق وترجع منها بأفضل المطالب وأرفع المواهب، وأن تَلبس لهذا الزمان من الصبر لأْمَته، وأن تعدَّ لَهُ من الحلْم عُدَّته حتَّى إذَا حَميَ الوَطيسُ ودَارَتْ رَحَى الخلاف واشْتَدَّ النَّفيرُ وتَنَادَى المتَخاصمُون بالخصَام والنِّفَاق وصوَّتَ المتَنَازعُون بالنِّزَاع والشِّقَاق لجأْتَ إلى مَا اعْتَصَمْتَ به منْ حُسْن خُلُقكَ إلى مَغَارَات ومُدَّخَل تولي إليها وتجمح ولَسْتَ بذَلكَ رَاضيًا بأَنْ تَكُونَ مَعَ القَوَاعد والخَوَالف بَلْ تَكُونَ مَعَ النَّاجينَ فتَنْجُو مَعَ قَليل ممَّنْ نَجَا.

لقَدْ ربَّى النبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَلَى الأَمَانَة ولم يزل يعالج هذه الأخلاق فيهم من أول وهلة ومنذ بدء دعوته حتَّى استووا على سوقهم، وانبلج فجرهم، وأضاء في الدنيا نورهم، بل بدت أخلاقهم في الناس بدو البدر وسط سمائه وضوحًا وحسنًا وجمالاً، ويؤكد ذلك ما جاء في حديث عَبْد اللَّه بْن عَبَّاس رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، قَالَ: "أَخْبَرَني أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّ هرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بالصَّلاَة، وَالصِّدْق، وَالعَفَاف، وَالوَفَاء بالعَهْد، وَأَدَاء الأَمَانَة، قَالَ: وَهَذه صفَةُ نَبِيٍّ". (رواه البخاري: ٢٦٨١).

كما علَّم أصْحَابَه أنَ يُؤَدُّوا الأمَانَات ويَقْضُوا الدُّيُون قبلَ التَّبَرُّع والتَّصَدُّق في وُجُوه الخَيْر خَلاَصًا للنَّفس وإبْـرَاءً للذِّمَّة.

قال الإمام البخاري في كتاب الوصايا ٤/٥: وَيُذْكَرُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَضَى بالدَّيْن قَبْلَ الوَصيَّة، وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا» (النساء: ٥٨)؛ فأَدَاءُ الأَمَانَة أَحَقُّ منْ تَطَوُّع الوَصيَّة.

ولمَّا لَحقَ صلى الله عليه وسلم بالرَّفيق الأَعْلَى واخْتَارَهُ الله

تَعَالَى إلَى جِوَارِهِ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَا مَلَّكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَالِيدَ البِلَادِ، ودَانَتْ لَهُمْ رِقَابُ العِبَادِ في مدَّة لا تُعَدُّ شَيْئًا في أَعْمَارِ الأُمَمِ، حَتَّى صَارُوا غُرَّةً في جَبِينِ الزَّمَانِ وأَرْبَى خُلُقُهُم عَلَى الإِحْسَانِ، لَقَدْ أَخَذُوا بالأَخْلَاقِ فَقَعَّدُوا قَوَاعِدَهَا، وَشَدُّوا سَوَاعِدَهَا، وَأَبَادُوا مُعَانِدَهَا، كَمَا عَضَدُوا عَوَاضِدَهَا وَنَهَجُوا جَمِيلَ مَقَاصِدِهَا، فَمَا مِنْ قُوَّةٍ في الدِّينِ وَلَا عِلْمٍ وخُلُقٍ مَتِينٍ إلا وَإِلَيْهِمْ يَلْتَجِئُ وَيَفْزَعُ، وَمَا مِنْ أَدَبٍ حَمِيدٍ وَلَا رَأْيٍ سَدِيدٍ إلا وَهُوَ إِلَيْهِمْ بِالفَضْلِ يَعْتَرِفُ وَيَنْزِعُ، فَمَا أَرَدْتَ مِنْ نَادِرِ أَدَبٍ وَلَا كَرِيمِ أَخْلَاقٍ إلا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُم بِلَا اخْتِلَاقٍ، وَلَا قَصَدْتَ مِنْ إِعْرَاقٍ في طَلَبِ عَظِيمِ الأَخْلَاقِ إلا اجْتَنَيْتَهُ مِنْ رَوْضِهِمْ مَعَ سَلَامَةِ أَصْلٍ وأَصَالَةِ مَعْدِنٍ وَطِيبِ أَعْرَاقٍ، وَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ ظُهُورَ النَّهَارِ، لِهَذَا صَارُوا كَعْبَةً لِلفَضَائِلِ يَنْبَغِي حَجُّهَا وقِبْلَةً لَهَا يَجِبُ قَصْدُهَا، وكَهُوفًا للأَخْلَاقِ يلزم اللجوء إليها ولزومها، وطريقًا يسلكها من اسْتَطاعَ إليها السَّبِيلَ، وملجأً يَأوي إليه القانعُ والمُعْتَرُ والمقيم والظاعن وكذا ابنُ السَّبِيل، ومن قال غير هذا من شانئيهم ورافضيهم فقدْ فجرَ والتقمَ الحجرَ ولولا خشية الإطالة لأسهبت في أخبارهم وأكثرت من أحوالهم؛ فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وإن ممَّا يُؤكِّد أثرَ هذه التَّربيةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحابةُ مِن عَظِيم قِيَامِهِمْ بالأَمَانَاتِ كُلِّها حتى أَسبغَ اللّه عليهم من الإسلام ظله وأعلى بهم في درج التمكين محله ولا غرو فقد كانت أمانتهم عظيمة وديانتهم قويمة.

وفي حديث الهجرة إلى الحبشة تعبيرٌ صادقٌ ينمُّ عن حسٍّ مرهفٍ وقول جامع بكلام منصف ذكره جعفرُ بن أبي طالب رَضِي اللّه عنه وهو يُفصح لنا عن كوْن تربية الجيل على الخُلق هي من أهم المهمَّات، كما يُعرب عن تبْكير النبي صلى الله عليه وسلم بهذه التربِيَة وذاك الإعْداد لا كما نَفْعَلُ فنتْرُك الشَّباب والفتْيانِ والواحد منهم حَدَثُ السِّنِّ غضُ الإهاب طريُّ العُود تقبَلُ طِينتُه الخَتْمَ ويسهُل تقويمُه وتعديلُ طبَاعه حتَّى إذا كثرت شيْبتُه ورقَّ عظمُه ونفدَ عُمرُه وخَلَع رِبقَةَ الأخلاق من عنقه وكاد أن يخرج من الدين والدنيا عريانًا جهدنا في لَمِّ شعثه وإصلاح خلقه، إن هذا لمن ضياع الأجيال والسقوط في الفتن " ألا في الفتْنَة سَقَطوا ".

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللَّه، فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُوْلُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُوْلُوْنَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوْهُ؟

قَالُوا: نَقُوْلُ-وَاللَّه- مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا-صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَائِنًا في ذَلكَ مَا كَانَ.

فَلَمَّا جَاؤُوْهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيْهِ قَوْمَكُم، وَلَمْ تَدْخُلُوا في دِيْنِي، وَلَا في دِيْنِ أَحَدٍ مِنْ هَذهِ الأُمَمِ؟

قَالَتْ: وَكَانَ الَّذِي يُكَلِّمُهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: "أَيُّهَا المَلِكُ! إِنَّا كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ المَيْتَةَ، وَنَأْتِي الفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيْءُ الجِوَارَ، وَيَأْكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيْفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلكَ حَتَّى بَعَثَ اللّه إِلَيْنَا

رَسُوْلاً منَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا منْ دُوْنه منَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصدْقِ الحَدِيْثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّوْرِ، وَأَكْلِ مَالِ اليَتِيْمِ، وَقَذْفِ المُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَّدَ لَهُ أُمُوْرَ الإِسْلاَمِ.

فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُوْنَا، وَفَتَنُوْنَا عَنْ دِيْنِنَا لِيَرُدُّوْنَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ منَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُوْنَا وَظَلَمُوْنَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِيْنِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لاَ نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا المَلِكُ.

وقريب منه قول هرقل لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

ثم قال هرقل: وسألتك ماذا يأمركم به، فزعمت أن يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وهذه صفة نبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم؛ وإن يكن ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه".

وطالعْ متفضِّلاً -أخا الإسْلاَم- هَذَا المَوْقف منْ صَحَابيٍّ ضَرَبَ مَثَلاً شَرُودًا فِي الأَمَانَة، وتَأَمّلْهُ غير مَأْمُور بَلْ متَكَرِّمًا، فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ أَدْرَكَ، ومَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ.

عَنْ ابْنِ مَسْعُود، قَالَ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: " يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ " قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: " فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ " فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: " اقْلِصْ " فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: " يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ " (رواه أحمد بسند حسن ٣٧٩/١ وصححه ابن حبان: ٧٠٦١).

فهيَّا إخوةَ الإسلام لإعْداد طليعة وشباب قد ارتضى الناس خلائقهم، وأمنوا بوائقهم، فخيرُهم يُرتَجى وشرُّهم يُتَّقى، ويتلفَّعون بالعفَّة والعفاف، ويشتملون بالنزاهة والاستعْفَاف، ويُحْيُون من الأَمَانة ما وَهَى ورثَّ، ويعملون على بثِّها في المسلمين أحْسَنَ البَثِّ، ويُدَقِّقُون في النَّقير منها والقطْمير، ويتبَصَّرون فيها أتمَّ التَّبصير، ويُقَرِّرُونَها أَحْسَنَ تَقْرير، ويتعوَّذُون بالله من الهَوَى فيها والتَّقْصير، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. (الروم: ٤-٥).

والحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

حجة النبي

صلى الله عليه وسلم

الحلقة الأولى

إعداد/ زكريا حسيني
رحمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين... وبعد:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إليَّ، فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديَيَّ وأنا يومئذ غلام شاب، فقال: مرحبًا بك يا ابن أخي، سلْ عما شئت، فسألته وهو أعمى، وحضر وقت الصلاة فقام في نساجة ملتحفًا بها كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المِشْجَب فصلى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقال بيده تسعًا، فقال: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حاجٌ فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله- صلى الله عليه وسلم- ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلتْ إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كيف أصنع، قال: إغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي، فصلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به فأهلَّ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عليهم شيئًا منه، ولزم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تلبيته.

قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم- عليه السلام- فقرأ: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: "ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، كان يقرأ في الركعتين: (قل هو الله أحد)، (وقل يا أيها الكافرون).

ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى

الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: إن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرَقيَ عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبَّت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جُعْشُم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد، فشبَّكَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أصابعه واحدة في الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبد، وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْنِ النبي- صلى الله عليه وسلم-، فوجد فاطمة- رضي الله عنها- ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت: إنَّ أبي أمرني بهذا، قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مُحَرِّشًا على فاطمة للذي صنعت مستفتيًا لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيما ذكرتْ عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها، فقال: صدقتْ صدقتْ، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت: اللهم إني أُهِلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: فإن معي الهدي فلا تحل، قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به على من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة.

قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا إلا النبي- صلى الله عليه وسلم- ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منًى فأهلوا بالحج وركب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال:

"إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمَيَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فُرُشَكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون"؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد، اللهم اشهد" ثلاث مرات، ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئًا.

ثم ركب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: "أيها الناس، السكينةَ السكينةَ" كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا.

ثم اضطجع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له

الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا، فلما دفع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مرت به ظُعُنٌ يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر.

حتى أتى بطن مُحسِّر فحرَّك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجلعت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم » فناولوه دلوًا فشرب منه.

زاد في رواية أخرى في هذا الحديث أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم، ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجَمْعٌ كلها موقف".

هذا الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي- صلى الله عليه وسلم- برقم (٢٩٥٠)، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك باب صفة حجة النبي- صلى الله عليه وسلم- (١٩٠٥)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب حجة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- برقم (٣٠٧٤).

شرح الحديث:

قال الإمام النووي عن هذا الحديث (حديث جابر) وهو حديث عظيم مشتمل على جُمَلٍ من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد، ثم قال: قال القاضي: وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءًا كبيرًا، وخرَّج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه، قوله: "عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر..." إلى قوله: "... فصلى بنا".

قال النووي: هذه القطعة فيها فوائد منها:

- أنه يستحب لمن ورد عليه زائرون أو ضيفان ونحوهم أن يسأل عنهم لينزلهم منازلهم كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن ننزل الناس منازلهم.
- وفيه إكرام أهل بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كما فعل جابر بمحمد بن علي.
- استحباب قوله للزائر والضيف ونحوهما مرحبًا.
- ملاطفة الزائر بما يليق به وتأنيسه، وهذا سبب حل جابر زري محمد بن علي ووضع يده بين ثدييه، وقوله: وأنا يومئذ غلام شاب فيه تنبيه على أن سبب فعل جابر ذلك التأنيس لكونه صغيرًا، وأما الرجل الكبير فلا يحسن إدخال اليد في جيبه والمسح بين ثدييه.
- جواز إمامة الأعمى البصراء ولا خلاف في جواز ذلك.
- أن صاحب البيت أحق بالإمامة من غيره.
- جواز الصلاة في الثواب الواحد مع التمكن من الزيادة عليه.
- جواز تسمية الثدي للرجل وفيه خلاف لأهل اللغة منهم من جوزه، ومنهم من قال يختص الثدي بالمرأة ويقال في الرجل "ثندؤة".
- وقوله: "في نساجة" هي بكسر النون وتخفيف السين وبالجيم، ووقع في بعض النسخ "ساجة" بغير نون، والساجة ثوب كالطيلسان والنساجة الثوب الملفق، وكلاهما صحيح. والله أعلم.

وقوله: "ورداؤه إلى جنبه على المشجب" المِشْجَبُ: أعواد تعلق عليها الثياب.

وقوله: "أخبرني عن حجة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. هي بكسر الحاء وفتحها، والمراد حجة الوداع.

- وقوله: "فقال بيده فعقد تسعًا فقال: إنَّ رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- مكث تسع سنين لم

يحج"؛ يعني مكث بالمدينة بعد الهجرة تسع سنين لم يحج فيها.

قوله: "ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حاج"؛ معناه أعْلَمَهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا للحج معه ويتعلموا المناسك والأحكام، ويشهدوا أقواله وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام وتبلغ الرسالة القريب والبعيد، وفيه أنه يستحب للإمام إيذان الناس بالأمور المهمة ليتأهبوا لها.

قوله: "كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله- صلى الله عليه وسلم-،، قال النووي: قال القاضي: هذا مما يدل على أنهم كلهم أحرموا بالحج؛ لأنه- صلى الله عليه وسلم- أحرم بالحج وهم لا يخالفونه، ولهذا قال جابر: "وما عمل من شيء عملنا به"، ومثله توقفهم عن التحلل بالعمرة ما لم يتحلل حتى أغضبوه واعتذر إليهم، ومثله تعليق عليٍّ وأبي موسى إحرامهما على إحرام النبي- صلى الله عليه وسلم-.

وقوله- صلى الله عليه وسلم- لأسماء بنت عميس: "اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي": فيه استحباب غسل الإحرام للنفساء، والاستثفار أن تشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها، وفيه صحة إحرام النفساء والحائض وهو مجمع عليه. والله أعلم.

قوله: "فصلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في المسجد ثم ركب القصواء" قال النووي: فيه استحباب صلاة ركعتي الإحرام ويكونان نافلة، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري أنه استحب كونها بعد صلاة فرض لأنه روي أن هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح.

وقوله: "ثم ركب القصواء" قال ابن قتيبة: كانت للنبي- صلى الله عليه وسلم- نوق: القصواء والجدعاء والعضباء، وفي حديث آخر غير هذا خطب على ناقة خرماء، وفي حديث ثالث: كانت لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ناقة لا تسبق تسمى "مخضرمة" قال القاضي: وهذا كله يدل على أنها ناقة واحدة خلاف ما قاله ابن قتيبة، ونقل القاضي عن محمد بن إبراهيم التيمي التابعي وغيره أن العضباء والقصواء والجدعاء اسم لناقة واحدة كانت لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

قوله: "نظرت إلى مد بصري" معناه منتهى بصري، وأنكر بعض أهل اللغة مدَّ بصري، وقال: الصواب (مدى بصري)، قال النووي: وليس هو بمنكر، بل هما لغتان والمد أشهر.

قوله: "بين يديه من راكب وماش"؛ فيه جواز الحج راكبًا وماشيًا، وهو مجمع عليه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قوله: "وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله". قال النووي- رحمه الله-: معناه الحث على التمسك بما أخبركم عن فعله في حجته، وقال الألباني- رحمه الله-: "فيه إشارة لطيفة إلى أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- هو الذي يبين للناس ما نزل عليه من القرآن، وأنه هو وحده الذي يعرف تأويله وتفسيره حق المعرفة وأن غيره- حتى من الصحابة- لا يمكنه الاستغناء عن بيانه- صلى الله عليه وسلم-، ولذلك كان الصحابة- رضي الله عنهم- في هذه الحجة- كغيرها من العبادات- يتتبعون خطاه- صلى الله عليه وسلم- فما عمل من شيء عملوا به". انتهى ملخصًا من حجة النبي- صلى الله عليه وسلم- (ص٥٤).

قوله: "فأهلَّ بالتوحيد" يعني قوله: "لبيك لا شريك لك"، وفيه إشارة إلى مخالفة ما كانت الجاهلية تقوله في تلبيتها من لفظ الشرك، فقد كان المشركون يقولون في تلبيتهم: "لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك". وبين جابر رضي الله عنه تلبية رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمة لك والملكَ، لا شريك لك".

وللحديث بقية إن شاء الله.
والحمد لله رب العالمين.

التربية على أكل الحلال واجتناب الحرام

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: أَخَذَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» (متفق عليه).

إنَّ اللُّقمةَ هي أساسُ كلِّ شيء في الإنسان، فإن طابتْ طابَ منهُ كلُّ شيء، وإن خبُثتْ خبُثَ منهُ كلُّ شيء، إن طابت اللُّقمةُ طابَ القلبُ والبدن، وطابت الأقوالُ والأفعال، وإن خبُثت اللُّقمةُ خبُثَ القلبُ والبدن، وخبُثت الأقوالُ والأفعال.

ومَثَلُ اللُّقمة من الدِّين مَثَلُ الأساس من البُنيان، فإذا ثبتَ الأساسُ وقَوِيَ استقامَ البُنيانُ وارتفع، وإذا ضعُفَ الأساسُ واعوجَّ انهارَ البُنيانُ ووقع، وقد قالَ الله عزَّ وجلَّ: «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (التوبة: ١٠٩).

وقد أمرَ الله تعالى النَّاسَ جميعًا بأكل الحلال واجتناب الحرام، فقالَ تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (البقرة: ١٦٨)، فامتنَّ سبحانهُ وتعالى على النَّاس جميعًا بما أباحَ لهم من الحلال الطَّيِّب، الذي يجبُ أن يكتفوا به عن الحرام الخبيث، الذي يضرُّ أبدانَهم وعُقولَهم، ثُمَّ نهاهم عن اتِّباع خُطوات الشَّيطان، الذي يدعوهم إلى الحرام أو الشُّبهات، أو تحريم الحلال أو تحليل الحرام، وذلك لشدَّة عداوته لبني آدم. فالواجبُ على كلِّ النَّاس أن يحذروهُ ولا يُجيبوه، فـ«إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» (فاطر: ٦).

وقد خصَّ الله تعالى المؤمنينَ بالأمرِ نفسِه فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (البقرة: ١٧٢).

قال ابنُ كثير: "يقولُ تعالى آمرًا عبادَهُ المؤمنينَ بالأكل من طيِّبات ما رزقهم، وأن يشكروهُ على ذلك إن كانوا عبيدَه. والأكلُ من الحلال سببٌ لتقبُّل الدُّعاء والعبادة، كما أنَّ الأكلَ من الحرام يمنعُ قبولَ الدُّعاء والعبادة". (تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٠٤).

وقالَ ابنُ رجب في قول الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا» (المؤمنون: ٥١): "المُرادُ بهذا أنَّ الرُّسُلَ وأُمَمَهم مأمورونَ بالأكل من الطَّيِّبات التي هي الحلالُ وبالعمل الصَّالح، فمتى كانَ الأكلُ حلالًا فالعملُ الصَّالحُ مقبول، فإذا كان الأكلُ غيرَ حلال فكيفَ يكونُ العملُ مقبولًا؟!" (جامع العلوم والحكم، ص٨٦).

ولذلك وردَ في الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» (المؤمنون: ٥١)، وَقَالَ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» (البقرة: ١٧٢). ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» (صحيح مسلم ١٠١٥).

ففي هذا الحديث إشارةٌ إلى أنَّهُ لا يُقبلُ العملُ ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأنَّ أكلَ الحرام يُفسدُ العملَ ويمنعُ قبولَه. فإنَّ قولَه صلى الله عليه وسلم «فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» معناهُ: كيف يُتقبَّلُ معَ الحرام، وهو مثالٌ لاستبعاد قبول الأعمال مع التَّغذية بالحرام. ولذلك قال أبو عبد الله

الناجيُّ: خمسُ خصالٍ بها تمامُ العمل: الإيمانُ بالله عزَّ وجل، ومعرفةُ الحقِّ، وإخلاصُ العمل لله، والعملُ على السُّنَّة، وأكلُ الحلال، فإن فُقدتْ واحدةٌ لم يرتفع العمل. وقال وهبُ بنُ الورد: لو قمتَ مقامَ هذه السَّارية لم ينفعْكَ شيءٌ حتَّى تنظرَ ما يدخلُ بطنَكَ أحلالٌ أم حرام" (جامع العلوم والحكم، ص٨٦- ٨٧).

والمُرادُ بنفي قبولِ الأعمالِ معَ أكلِ الحرام نفيُ الأجرِ والثَّوابِ المُترتِّب عليها، وقد صرَّح بذلكَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: «مَنْ جَمَعَ مَالاً حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ» (رواه ابن حبان في صحيحه ٨٦٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب: ٨٨٠).

وإنَّما لا يقبلُ الله الصَّدقةَ من المالِ الحرام لأنَّهُ غيرُ مَمْلوك للمُتصدِّق، وهو ممنوعٌ من التَّصرُّف فيه، والتَّصدُّقُ به تصرُّفٌ فيه، فلو قُبلتْ منهُ لزمَ أن يكونَ مأمورًا به منْهيًا عنهُ من وجهٍ واحد، وهو مُحال. ولأنَّ أكلَ الحرام يُفسدُ القلوبَ، فتُحرمَ الرِّقَّة والإخلاصَ، فلا تُقبلُ الأعمال". (المفهم: ٥٩/٣).

وإذا لم تُقبلِ الأعمالُ الصَّالحةُ، وجوزيَ الإنسانُ بأسوأ ما عمل، دخلَ النَّار، ولذلك توعَّدَ الله تعالى على أكل الحرام بالنَّار، فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا » (النساء: ٢٩- ٣٠).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ! إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ». (صحيح البخاري ٦١٤).

ومع ذلكَ فإنَّ النَّاسَ قد توسعوا في كسب المال، ولم يبالوا بالحلالِ والحرام، مصداقَ نبوءةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، حيثُ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ» (صحيح البخاري ٢٠٨٣).

وما ذلكَ إلاَّ لاستهانتهم بالنَّار التي توعدَ الله بها مَنْ أكلَ الحرامَ، وهيَ والله لا يُستهانُ بها، وكيفَ يُستهانُ بها والله يقولُ: «وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ » (التحريم: ٦)، وكيف يُستهانُ بها والله يقول: «كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» (الإسراء: ٩٧)، وكيف يُستهانُ بها والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَالله إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ الله! قَالَ: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا». (صحيح البخاري ٣٢٦٥).

فلو قدرَ النَّاسُ النَّارَ حقَّ قدرها لآثروا أنْ يربطوا الحجارة على بطونهم ولا يأكلوا الحرامَ، ولذلك كانت المرأةُ على عهد السَّلف الصَّالح إذا أرادَ زوجُها الخروجَ لطلبِ الرِّزقِ تقول له: اتق الله فينا ولا ترجع علينا بشيْءٍ من حرام، فإنَّا نصبرُ على الجوع في الدُّنْيا ولا نصبرُ على حرِّ النَّار يومَ القيامة.

فعلى كل رجل أن يعلم أنه مسؤول عن زوجه وأولاده ومن في رعايته غيرهم، فليتق الله فيما يطعمهم، ولا يطعمهم إلا الحلال الطيب، وأن يربي صغاره على معرفة الحلال والحرص عليه، ومعرفة الحرام واجتنابه، فقد قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد اهتم صلى الله عليه وسلم بتربية الحسن بن عليٍّ، وتعليمه ما لا يحل له، فلما أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، قَالَ له رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» (متفق عليه).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: وَفِي الْحَدِيث جَوَازُ إِدْخَالِ الأَطْفَالِ الْمَسَاجِدَ وَتَأْدِيبِهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَمَنْعِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ وَمِنْ تَنَاوُلِ الْمُحَرَّمَاتِ وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُكَلَّفِينَ لِيَتَدَرَّبُوا بِذَلِكَ. وَاسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْهُ مَنْعَ وَلِيِّ الصَّغِيرَةِ إِذَا اعْتَدَّتْ مِنَ الزِّينَةِ. وَفِيهِ الإِعْلاَمُ بِسَبَبِ النَّهْيِ وَمُخَاطَبَةُ مَنْ لاَ يُمَيِّزُ لِقَصْدِ إِسْمَاعِ مَنْ يُمَيِّزُ لأَنَّ الْحَسَنَ إِذْ ذَاكَ كَانَ طِفْلاً. (فتح الباري لابن حجر: ٣٥٥/٣).

نسأل الله أن يرزقنا الحلال الطيب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

تاسعًا: تعويد الأولاد على الترف والبذخ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية النشء، فنقول وبالله التوفيق:

تربية الأبناء مسئولية الآباء والأمهات والمعلمين وكل مُربٍّ، وكثيرًا ما يهملونها، مستسهلين الإهمال فيها، لعدم ظهور آثار ذلك مبكرًا، فإذا جاء الموعد، وحان وقت القطاف، جاءت الثمرة مُرة حنظلية، فبدأ الآباء يشتكون بل يصرخون مما آل إليه أمر أبنائهم، ناسين أو متناسين أنهم كانوا السبب الرئيس وراء تلك المرارة، قصدوا أو لم يقصدوا، وهذا بلا شك خلل في التربية، ولقد أمر المولى العليم الحكيم بتدارك هذا الخلل بتعاهد الطفل بالتربية منذ نعومة أظفاره،

إعداد/ جمال عبد الرحمن

فقال جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦). وقد تحدثنا فيما مضى عن:

أولاً: القسوة والغلظة والفظاظة.

ثانيًا: التدليل الزائد والتمييع.

ثالثًا: عدم الثبات في المعاملة.

رابعًا: عدم العدل بين الإخوة.

خامسًا: اختلاف الوالدين في تربية الأبناء.

سادسًا: الافتتان بالأولاد والإعجاب الزائد بهم.

سابعًا: تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع.

ثامنًا: تربية الأولاد على سلاطة اللسان والجرأة المنافية للحياء، واعتبار ذلك شجاعة.

وفي هذه المرة إن شاء المولى عز وجل نتحدث عن:

تاسعًا: تعويد الأولاد على الترف والبذخ:

قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ) (الواقعة: ٤٥).

قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم في الدنيا مترفين، يعني منعمين. وعن عليّ، عن ابن عباس (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) يقول: منعمين. تفسير الطبري جامع البيان (١٣١/٢٣).

الطفل لا يجوز أن يُعَوَّد على الترف والبذخ، كما لا يَسأله أهله عما يرغب فيه من الأطعمة أو الألبسة وغيره، حتى يتعود على أن يلبس ويأكل ما يُقدم له. وإذا رفض هذا الأكل أو ذاك، فالأفضل ألا يُجاب إلى ما رغب فيه، ولا يقدمَ له- في الغالب- غيرُ ذلك الأكل، وسيضطر إلى أكله حين لا يجد بديلاً سريعًا يقدم له. صحيح أن الوالدين يجب أن تكون لهما بعض المرونة التي تجعلهما يراعيان في بعض الأحيان مزاج الطفل ورغباته الخاصة، لكن بدون مبالغة وعلى اعتبار أن هذا استثناء وليس أصلاً. ولأن المبالغة في تلبية ما يريده الأبناء تجعلهم يشبون على الترف، فينشأ الولد مترفا منعما، كل همه خاصة نفسه فحسب، فلا يهتم بالآخرين، ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم، ولا يشاطرهم أتراحهم؛ وتربية الأولاد على هذا

النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة، ويقضي على المروءة والشجاعة.

فبعض الآباء أو الأمهات يعطي أولاده كل ما سألوه، ولا يمنعهم شيئًا أرادوه، فتجد يده مبسوطة لهم بالعطاء، وهم يعبثون بالأموال، ويصرفونها في اللهو والباطل، مما يجعلهم لا يأبهون بقيمة المال، ولا يحسنون تصريفه.

وإذا حصل منعٌ في مرة من المرات تجد الابن يلجأ إلى أسلوب الابتزاز، فكثيرًا ما يطلب الصغار من آبائهم أو أمهاتهم شيئًا ما، فإذا رفض الوالدان؛ لجأ الصغار إلى البكاء؛ حتى يحصل لهم مطلوبهم، عندها ينصاع الوالدان للأمر، وينفذان الطلب، إما شفقة على الولد من البكاء، وإما ليستريحوا من صوته المزعج، ودمه الثقيل، أو غير ذلك؛ فهذا من الخلل بمكان، فهو يسبب الميوعة والضعف للأولاد.

وبعض الآباء يكون ميسور الحال والمال، وله ولد واحد أو بنت، فلا يؤخر له طلبًا، فربما طلب الولد من أبيه شراء سيارة، أو عرضها الأب كمكافأة أو غيره، فإذا تمكن الولد من السيارة فإنه -في الغالب- يبدأ في سلوك طريق الانحراف، فتراه يسهر بالليل، وتراه يكثر الخروج من المنزل، ويرتبط بصحبة سيئة، وربما آذى عباد الله بسرعته الجنونية وعدم مراعاة حق الطريق، وقد يبدأ في الغياب عن المدرسة، وهكذا يتمرد على والديه، فيصعب قياده، ويعز إرشاده.

تعريف الترف وآثاره:

التَّرف: تَنعيم الغذاء، وصَبِيٌّ مُتْرَفٌ: مُوسَّعٌ عليه عَيشُه، قليل فيه همَّة، والنَّعْتُ أُتْرِفَ. والتُّرفة كل ما تَرَّفْتَ به نفسك تتريفًا إذا خفَّفْتَ عنها. العين (٨/١١٤).

وَتَرَّفَهُ أَهْلُهُ إِذَا نَعَّمُوهُ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ وَالشَّيْءِ يُخَصُّ بِه. مقاييس اللغة (١/٣٤٥).

وأترفته النعمة: أفسدته وأبطرته. كتاب الأفعال (١/١١٨).

وقَالَ ابنُ دُرَيْد: التُّرْفَةُ: الطَّعَامُ الطَّيِّبُ أَو الشَّيْءُ الظَّرِيفُ تَخُصُّ به صَاحِبَكَ. وقِيلَ: أَتْرَفْتُهُ: نَعَّمْتُه، وَمِنْهُ قوله تعالى: (مَا أُتْرِفُوا)، أي مَا نُعِّمُوا، كَتَرَّفْتُهُ تَتْرِيفاً، أَي أَبْطَرْتُه. وأُتْرِفَ فلانٌ: أَصَرَّ عَلَى الْبَغْيِ، والْمُتْرَفُ، كمُكْرَم: الْمَتْرُوكُ يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ لا يُمْنَعُ مِنْهُ، قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْمُتَنَعِّمُ الْمُتَوَسِّعُ فِي مَلاذِّ الدُّنْيَا وشَهَوَاتِهَا مُتْرَفاً لأَنَّه مُطْلَقٌ لَهُ، لا يُمْنَعُ من تَنَعُّمِه. والْمُتْرَفُ: الجَبَّارُ، وَبِه فَسَّرَ قَتَادَةُ قوله تعالى: (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) أَي: جَبَابِرَتَهَا، وقالَ غيرُه: أُولِي التُّرْفَة، وأَرادَ رُؤَسَاءَهَا وقَادَةَ الشَّرِّ مِنْهَا. والتَّرَفُ: التَّنَعُّمُ. وَالتَّتْرِيفُ: حُسْنُ الغذاء. وصَبِيٌّ مُتْرَفٌ، كمُكْرَم: إِذا كَانَ مُنَعَّمَ الْبَدَنِ مُدَلَّلاً. ورجلٌ مُتَرَّفٌ، كمُعَظَّم، مُوَسَّعٌ عَلَيْه وتَرَّفَ الرَّجُلَ، وأَتْرَفَهُ: دلَّلَهُ. وأَتْرَفَ الرَّجُلَ: أَعْطاهُ شَهْوَتَهُ. تاج العروس (٢٣/٥٣-٥٤).

والمُتْرَف: المتنعِّم المُتوَسِّع فِي مَلاذِّ الدُّنْيَا وشَهواتها. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٨٧).

وترف الشخصُ: تنعَّم، وعاش في رفاهيَة "تعوَّد علَى عيشة التّرف". معجم اللغة العربيَّة المعاصرة (١/٢٩٠).

والبَذَخ: الترف، والرفاهية، والنعيم، واليسار، وسعة العيش. تكملة المعاجم العربية (١/٢٦١).

والبَذَخ: تَطَاوُل الرَّجُل بكلامه وافتخاره؛ وتَبَذَّخ: تطاوَل وتَكَبَّر وفَخر وعَلا. لسان العرب (٣/٧).

والبذخ كما في حَديث الْخَيْل «وَالَّذِي يَتَّخذُهَا أَشَراً وَبَطراً وبَذَخاً» البَذَخ- بالتَّحْرِيك- الفَخر والتَّطَاوُل. والبَاذِخ العَالي، وَيُجْمَعُ عَلَى بُذْخ. وَمِنْهُ كَلامُ عَلِيٍّ رضي الله عنه «وحَمل الجِبَال البُذْخ عَلَى أَكْتَافهَا». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١١٠).

ومن التعريفات السابقة المتعددة يتضح أن الترف يساوي البذخ، وأنهما مترادفان، وسينتج عنه: قلة الهمة، والفساد، والبَطر، والإصرار على البغي، وفعل ما يشاء، الجبار، المتوسع في ملاذ الدنيا، المتنعم، المتطاول، المتكبر، الفخور، المتعالي، مُنَعَّم البدن، المدلل، المجاوز لحد الاعتدال، الحريص حرص ذم وتكالب، قادة الشر، المتوسع في الشهوات. فيا لها من خصال بعضها أشَرُّ من بعض.

أهل الترف عرضة للعقاب الدنيوي والأخروي:

في تفسير قوله تعالى: «وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فيه وَكَانُوا مُجْرِمِينَ» (يونس: ١١٦). قال أبو جعفر الطبري: إن اللهَ أخبر تعالى ذكره: أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله. وذلك أن المترف في كلام العرب: هو المنعم الذي قد غُذِّي باللذات. انتهى. تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (١٥/٥٢٩).

وعَنْ كَعْب قَالَ: والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة: شرَّابين للقهوات، تباعين للشهوات، لعابين للكعبات

(وهو النردشير)، رقادين عَن العتمات، مفرطين في الغدوات، تراكين للصلوات والجمعات، ثُمَّ تلا هذه الآية: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ». تفسير ابن أبي حاتم- محققا (٢٤١٢/٧).

القهوات: جمع قهوة، والمراد: الخمر.

وقال عز وجل: « وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) (الأنبياء: ١١- ١٣).

هذا الترف الذي اجتاح هذه القرى فكان سبباً في هلاكها قال تعالى: «لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون». قال ابن كثير: (لا تركضوا وارجعوا) هذا تهكم بهم كأنه قيل لهم: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والعيشة والمساكن الطيبة. وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: (أي لا يفيدكم الركض والندم ولكن إن كان لكم اقتدار فارجعوا إلى ما أترفتم فيه من اللذات والمشتهيات ومساكنكم المزخرفات ودنياكم التي غرتكم وألهتكم حتى جاءكم أمر الله فكونوا فيها متمكنين، وللذاتها جانين، وفي منازلكم مطمئنين معظمين لعلكم أن تكونوا مطلوبين مقصودين في أموركم كما كنتم سابقاً مسؤولين من مطالب الدنيا كحالتكم الأولى وهيهات أين الوصول إلى هذا؟ (في الآخرة لا يمكن أن يكون لهم هذا)، وقد فات الوقت وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم وشرفهم ودنياهم وحضرهم ندمهم وتحسرهم. (تفسير ابن كثير ٣٣٥/٥).

وقال تعالى: « وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ» (المؤمنون:٣٣).

قال ابن جرير: أترفناهم في الحياة الدنيا نعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا.

وَقَوْلُهُ: «حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ» يَعْنِي: حَتَّى إِذَا جاءَ مُتْرَفِيهِمْ-وَهُمُ السُّعَدَاءُ الْمُنَعَّمُونَ فِي الدُّنْيَا-عذابُ الله وَبَأْسُهُ وَنِقْمَتُهُ بهم «إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ» أَيْ: يَصْرُخُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ. تفسير ابن كثير(٤٨٢/٥).

هؤلاء المترفون المنعمون الذين أطغتهم الدنيا وغرتهم الأموال واستكبروا عن الحق.

وقال عز وجل أيضاً في كتابه: « وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا» (المزمل:١١).

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) فدعني يا محمد والمكذبين بآياتي (أُولِي النَّعْمَةِ) يعني أهل التنعم في الدنيا (وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا) يقول: وأخرهم بالعذاب الذي بسطته لهم قليلا حتى يبلغ الكتاب أجله. تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر(٦٩٠/٢٣).

وقد وصف الله تعالى أهل الترف بالفسق فقال: « وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا » (الإسراء:١٦). أي طالت عليهم المسافة وصعب عليهم السفر فتثاقلوا عن العبودية ورفضوها وتأففوا منها.

وقال عز وجل في المترفين الذين لم يطيقوا الجهاد لشدة الحر وهم متعودون على الظلال والأماكن الباردة: « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة:٨١). يقول تعالى ذكره: وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم (في سبيل الله)، يعني: في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه، ميلاً إلى الدعة والخفض، وإيثارًا للراحة على التعب والمشقة، وشحًّا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله. تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٣٩٩/١٤).

وعلاج الترف التعويد على الاخشيشان:

ها هي فترة صبا النبي صلى الله عليه وسلم يُرَى فيها القوة والصلابة والاخشيشان الذي أوصى به الشباب بعد بعثته: فعن جابر رضي الله عنه قال:" لَمَّا بُنِيَت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي: اجعل إزارك على رقبتك، يقيك الحجارة " (البخاري ح٣٥٤٢).

وقد رعى الغنم أيضًا؛ قال:" ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم" قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: "نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" (صحيح البخاري ح٢١٠٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يحث الشباب على الرماية وركوب الخيل؛ لما في ذلك من القوة والرجولة، والاستعداد للشدائد. فيقول: "ارموا واركبوا" (النسائي ح٣٥٢٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يهدي أبناءنا ويصلح أحوالنا، إنه على كل شيء قدير.

الحلقة (٢٠٥)

تحذير الداعية
من القصص الواهية

قصة إقامة آدم عليه السلام بمكة حتى قبضه الله تعالى بها

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن ابن إسحاق قال: «بلغني أن آدم عليه السلام لما أُهبط إلى الأرض حزن على ما فاته مما كان يرى ويسمع في الجنة من عبادة الله، فبوَّأ الله له البيت الحرام، وأمره بالسير إليه، فسار إليه لا ينزل منزلاً إلا فجَّر الله له ماءً معينًا، حتى انتهى إلى مكة فأقام بها يعبد الله عند ذلك البيت ويطوف به، فلم تزل داره حتى قبضه الله بها».

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بالأزرقي المتوفى سنة (٢٥٠هـ) في كتابه «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» (٣٩/١) قال: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرني محمد بن إسحاق قال: بلغني أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض... القصة.

ثالثًا: التحقيق:

نركز في هذا التحقيق على أمرين:

الأول: تعميم الفائدة التي هي غاية هذه السلسلة:

١- فالقارئ الكريم يقف على درجة القصة.

٢- والداعية يكون على حَذر ويسلم له عمله على السنة وحدها.

٣- وطالب هذا الفن يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي وأصول هذا العلم.

الثاني: البرهان على أن هذه القصة واهية مردودة بالسقط في الإسناد، والطعن في الرواة.

١- فالخبر هو من بلاغات محمد بن إسحاق وليس موصولاً، وعدم الاتصال وشدة السقط يتبين من معرفة طبقة محمد بن إسحاق فقد قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٤٤/٢): «محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم مدني نزيل العراق، صاحب المغازي، يدلس، ورُمي بالتشيع والقدَر، من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة». اهـ.

٢- قلت: «والخامسة هي الطبقة الصغرى من التابعين

الذين رأوا الواحد والاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة». كذا في «مقدمة التقريب» (٦/١).

وإذا كانت الرابعة: «جُل روايتهم عن كبار التابعين»، وهي فوق الخامسة، فممن أخذ ابن إسحاق هذا الخبر في بلاغاته، وهو من صغار التابعين، وعلى الأقل يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم الطبقة الوسطى والكبرى من التابعين ثم الصحابة، وهذا الخبر لم يُرفَع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: فهذا الخبر يفتقد شرطي الحديث المسند من الاتصال والرفع.

٣- وحتى لو كان متصلاً مرفوعًا: لا يُقبل؛ حيث إن ابن إسحاق مدلس، أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة «الرابعة» رقم (٩) قال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، صاحب المغازي، مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم». اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن محمد بن إسحاق يدلس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم، وهذا التدليس يظهر من إخفائه لأسمائهم فيقول: «بلغني»، كما في قوله في هذا الخبر الذي جاءت به القصة، قال: «بلغني أن آدم عليه السلام».

وهذا ما بيَّنه الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣٧/٩) حيث نقل عن يعقوب بن شيبة: أنه قال: «سمعت ابن نمير يقول: إذا حدث محمد بن إسحاق عن من سمع منه من المعروفين فهو حَسَن الحديث، وإنما أُتي من أنه يحدِّث عن المجهولين أحاديث باطلة». كذا في «تهذيب الكمال» (٥٦٤٤/٧٠/١٦) للإمام الحافظ المزي وأقره الحافظ ابن حجر في «التهذيب».

٤- قلت: بهذا يتبين أن ما قاله ابن إسحاق عبارة عن حكايات غير مسندة لذلك قال الإمام أحمد بن حنبل: «قدم ابن إسحاق بغداد فكان لا يبالي عن مَن يحكى، عن الكلبي وغيره». وكذا في «تهذيب الكمال» (٥٦٤٤/٧٠/١٦) للإمام المزي، وكذلك في «تاريخ بغداد» (٢٣٠/١) للحافظ الخطيب البغدادي.

قلت: والكلبي هو محمد بن السائب الكلبي الكوفي الأخباري، قال ابن معين: الكلبي: ليس بثقة، وقال الجوزجاني وغيره: كذاب، وقال الدارقطني وجماعة: تركوه». اهـ. كذا في «الميزان» (٧٥٧٤/٥٥٥٩/٣).

قلتُ: مما أوردناه من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن محمد بن إسحاق يحدِّث عن المجهولين أحاديث باطلة، وأنه لا يبالي عن من يحكي عن الكلبي وغيره وأنه مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم مثل الكذابين والمتروكين ولتدليسه قد يخفيهم تحت بلاغاته فيقول كما في هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة: «بلغني أن آدم عليه السلام..» القصة.

لذلك قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧١٩٧/٤٦٨/٣): «وقال أبو داود الطيالسي: حدثني بعض أصحابنا، قال: سمعت ابن إسحاق يقول: حدثني الثقة، فقيل له: مَنْ؟ قال: يعقوب اليهودي». اهـ.

٥- من أجل ذلك قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٦٩/٣): محمد بن إسحاق بن يسار، ما له عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأسماء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة».

ثم ذكر الإمام الذهبي من وهَّاه:

أ- قال أبو داود: «قدري معتزلي».

ب- وقال سليمان التيمي: «كذاب».

ج- وقال أحمد: «كثير التدليس جدًا».

د- وقال يحيى القطان: «أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب».

م- وروى حميد بن حبيب أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القَدَر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

ن- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك يجرِّحان ابن إسحاق».

هـ- وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابن إدريس، قال: كنت عند مالك فقيل له: إن ابن إسحاق يقول: اعرضوا عليَّ علم مالك، فإني بَيْطارُه، فقال مالك: «انظروا إلى دجال من الدجاجلة».

٦- فائدة:

لقد بينا بعض أقوال أئمة الجرح والتعديل في

محمد بن إسحاق وهو جَرْح مفسَّر كما بينا آنفًا، وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بالصناعة الحديثية بأن هناك بعض من وثّقه فالقاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدم على التعديل»، وكم زلت بسبب الجهل بهذه القاعدة أقدام وضلت أفهام، وبرهان ذلك:

أ- قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (١٨٨/٢): «وقدم جمهور العلماء الجرح على التعديل مطلقًا استوى الطرفان في العدد أم لا، قال ابن الصلاح: إنه الصحيح». اهـ.

ب- قلت: قاله الامام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص٢٢٤- ط دار الكتب)، النوع (٢٣) المسألة الخامسة قال: «إذا اجتمع في شخص جَرْح وتعديل، فالجرح مقدَّم؛ لأن المعدِّل يخبر عما ظهر من حاله، والجارح يخبر عن باطن خفي على المعدِّل، وإن كان عدد المعدلين أكثر فالصحيح الذي عليه الجمهور؛ الجرح أولى». اهـ.

ج- لذلك قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٣٠٩/١): «وإذا اجتمع في الراوي جرح مفسَّر وتعديل فالجرح مقدم، ولو زاد عدد المعدِّل، هذا هو الأصح عند الفقهاء والأصوليين، ونقله الخطيب عن جمهور العلماء لأن مع الجارح زيادة علم لم يطّلع عليها المعدِّل، ولأنه يصدق للمعدل فيما أخبر به عن ظاهر حاله، إلا أنه يخبر عن أمر باطن خفي عنه». اهـ.

د- قلت: قول الإمام السيوطي: «ونقله الخطيب عن جمهور العلماء» بالتحقيق وجدنا أن الإمام الحافظ الخطيب البغدادي ذكره في كتابه «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» (٣٣٦/١) باب القول في «الجرح والتعديل إذا اجتمعا أيهما أولى»، قال: «إذا عدل جماعة رجلاً وجرح أقل عددًا من المعدلين، فإن الذي عليه جمهور العلماء أن الحكم للجرح، والعمل به أولى». اهـ.

قلتُ: وتأكيد الحافظ الخطيب بأن هذا هو الذي عليه جمهور العلماء لا يتأتى إلا من عالم جهبذ خبير بفنون الحديث كما بيَّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١٦) قال: «ثم جاء الخطيب أبو بكر البغدادي (٣٩٢- ٤٦٣) فصنَّف في قوانين الرواية كتابًا سماه «الكفاية»، وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنّف فيه كتابًا مفردًا، فكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: «كل من أنصف علمَ أن المحدثين بعد الخطيب عيالٌ على كتبه». اهـ.

قلتُ: قاله أبو بكر بن نقطة في كتابه «التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد» (١٧٠/١).

م- وتجريح ابن إسحاق ظاهر في الإسناد والاعتقاد كما بينه أئمة الجرح والتعديل آنفًا، فهو قدَري معتزلي كثير التدليس جدًّا كذاب دجَّال من الدجاجلة، يتبين ذلك مما أورده الإمام الذهبي من مناكيره في «الميزان» (٤٧٣/٣) عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن ابن عمر- أنه بعث إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فبعث إليه أن نعم. رآه على كرسي من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة: مَلَك على صورة رجل، وملك على صورة أسد، وملك على صورة ثور، وملك على صورة نسر في روضة خضراء دون فراش من ذهب». اهـ.

قلتُ: هذا الذي أورده الإمام الذهبي من مناكير ودجل ابن إسحاق على رب العزة: « سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ » (الصافات:١٨٠)، أمام هذا المنكر تهون هذه القصة الواهية المفتراة على آدم عليه السلام قصة «إقامة آدم عليه السلام بمكة حتى قبضه الله بها».

قلتُ: وهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة غريب مما انفرد به ابن إسحاق، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٧٥/٣): «ما انفرد به ففيه نكارة».

قلتُ: وأمثال هذه الغرائب التي أوردناها آنفًا عن رب العزة ثم عن آدم عليه السلام حذَّر منها الأئمة؛ فقد أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ح٤) عن أبي يوسف قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب». اهـ.

لذلك نقل الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢) عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «لا

تكتبوا هذه الأحاديث الغريب فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

وهذا الخبر الذي جاءت هذه القصة غريب مسلسل بالضعفاء، فقد بينا آنفًا حال محمد بن إسحاق الذي حشا السيرة بالأشياء المنكرة المنقطعة.

رابعًا: علة أخرى:

علة أخرى في هذا الخبر الغريب المنقطع المنكر هو عثمان بن ساج الذي روى هذا الخبر عن ابن إسحاق، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٥١٠/٣٤/٣) قال: «عثمان بن ساج لا يُتابع هو ابن عمرو». اهـ.

٢- قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٣١/٧): «عثمان بن عمرو بن ساج القرشي أبو ساج الجزري مولى بني أمية». وقد ينسب إلى جده روى عن محمد بن إسحاق، وقال العقيلي: عثمان بن عمرو الحراني لا يُتابع على حديثه، وقال الأزدي: يتكلمون في حديثه. اهـ.

قلت: ومنهم من تردد بين عثمان بن ساج، وعثمان بن عمرو بن ساج، ومنهم من جعله واحدًا كالإمام الذهبي.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٦٣/٤) (٥٥٢٦/١١٧٥): «عثمان بن ساج عن خصيف لا يتابع، هو ابن عمرو سيأتي».

قلت: هذا قول الإمام الذهبي في «الميزان» كما أوردناه آنفًا ونقله عنه الحافظ ابن حجر في «اللسان»، وتعقبه فقال: «وأراد بقوله: سيأتي، أنه سيذكره في عثمان بن عمرو بن ساج، وعثمان بن عمرو هذا، أخرج له النسائي، وله ترجمة في «التهذيب»، وقد فرَّق غيره بين عثمان بن ساج وعثمان بن عمرو بن ساج. اهـ.

٣- قلت: والقول ما قاله الإمام الذهبي بعدم التفريق، وعثمان بن ساج هو عثمان بن عمرو بن ساج؛ فالإمام الذهبي كما قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «الذهبي هو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال». اهـ.

٤- لذلك عندما ترجم له في «الميزان» (٥٥١٠/٣٤/٣) قال: «عثمان بن ساج، عن خصيف لا يُتابع هو ابن عمرو وسيأتي». اهـ.

٥- وقوله سيأتي أي سيذكره في عثمان بن عمرو بن ساج، وقد ذكره في «الميزان» (٥٥٤٦/٤٩/٣) قال: «عثمان بن عمرو بن ساج قال أبو حاتم: لا يحتج به، روى عن أهل الجزيرة، وله ترجمة في تهذيب الكمال».

٦- بالبحث عنه في «الجرح والتعديل» (٨٨٨/١٦٢/٦) للإمام الحافظ ابن أبي حاتم قال: «عثمان بن عمرو بن ساج جزري، روى عن محمد بن إسحاق بن يسار سمعت أبي يقول: عثمان بن عمرو بن ساج لا يُحتج به». اهـ.

٧- قلت: أما قول الإمام الذهبي: «وله ترجمة في تهذيب الكمال». اهـ. فهذه الترجمة في «تهذيب الكمال» (٤٤٣٤/٤٦٥/١٢) ولم يفرِّق بينهما الإمام الحافظ المزي في تهذيب الكمال؛ حيث قال: «عثمان بن عمرو بن ساج القرشي أبو ساج الجزري مولى بني أمية أخو الوليد بن عمرو بن ساج، وقد ينسب إلى جده». اهـ. وبيَّن أنه كان قاصًا ولا يُحتج به وأنه روى عن محمد بن إسحاق بن يسار ولا يُتابع على حديثه؛ لأنها غرائب ومناكير.

خامسًا: علة ثالثة:

سعيد بن سالم أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢٦١/٢٠٣/٧) قال: «سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي خرساني الأصل، ويقال كوفي سكن مكة روى عن عثمان بن عمرو بن ساج الجزري». اهـ.

قال الإمام ابن حبان في المجروحين (٣١٦/١): «سعيد بن سالم القداح كان يرى الإرجاء، وكان يهمُ في الأخبار حتى يجيء بها مقلوبة، حتى خرج عن حد الاحتجاج به، ثم ذكر عن يحيى بن معين قال: سعيد بن سالم القداح ليس بشيء». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية خبرٌ غريب منقطع منكر مسلسل بالضعفاء والكذابين والمدلسين والدجاجلة كما بينا آنفًا.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (٣٦)

قرائن اللغة على ألسنة أئمتها.. تبطل ادعاءات الأشاعرة في حملهم (الاستواء) في الآيات على معنى (الاستيلاء)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فبعد أن ذكرنا من قرائن اللغة على بطلان تأويل (استوى) بـ (استولى)؛ أن لفظ (الاستواء) في كلام العرب الذين خاطبنا القرآن بلغتهم، وأنزل بها كلامه، ليس فيها معنى (استولى)، ولا نقله أحد من أئمة اللغة، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية.

وأن الذين قالوا: إنها بمعنى (استولى)، لم يقولوه نقلاً، وإنما قالوه استنباطاً وحملاً منهم للفظة (استوى) على (استولى).

نذكر من أوجه بطلان تأويل الاستواء بالاستيلاء مما أفاده صاحب مختصر الصواعق:

ثالثاً: "أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب، فعن ابن الأعرابي لغوي زمانه ت٢٣١، وقد سئل: هل يصح أن يكون (استوى) بمعنى (استولى)؟، فقال: "لا تعرف العرب ذلك"، ولفظه في اجتماع الجيوش ص١٠٤: "والله ما يكون هذا ولا وجدته".

وفي (العلو) للذهبي ص١٣٣: "لا أعرفه"، وفيه من رواية داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل فسأله عن معنى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طه/٥)؟، قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذلك؛ إنما معناه (استولى)، فقال: "اسكت ما يدريك ما هذا؟؛ العرب لا تقول للرجل: استولى على الشيء حتى يكون له مضاد، فأيهما غلب، قيل: استولى، والله لا مضاد له، وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة"، وقد أورد هذا الأثر من غير الذهبي: اللالكائي في شرح السنة، والبيهقي في الأسماء، وابن حكمي في المعارج وغيرهم.. كما حدّث به من أئمة اللغة: شيخ العربية ابن نفطويه، وقد نقله عنه صاحبا (العلو) و(اجتماع الجيوش).

ومن قبل ذا، قال إمام العربية الخليل بن أحمد، شيخ سيبويه والإمام اللغوي المشهور ت١٧٥، فيما جاء في التمهيد واجتماع الجيوش: "استوى إلى السماء: ارتفع"، وللخليل فيما رواه عنه الذهبي في (العلو) ص١١٨: "أتيت أبا ربيعة الأعرابي -وكان من أعلم من رأيت وهو غير ابن الأعرابي الفائت- وكان على سطح، فلما رأيناه أشرنا عليه بالسلام، فقال: (استووا)، فلم نَدْرِ ما قال، فقال لنا شيخ عنده: يقول لكم: (ارتفعوا)، قال الخليل: هذا من قوله تعالى: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ) فصلت/١١)"، وعن ابن عباس وأبي عبيدة والفراء في المُتعدية بـ (إلى)، أنها بمعنى: (صعد).

وقال ثعلب إمام الكوفيين في اللغة ت٢٩١: "(ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طه/٥): علا"، ثم راح يعدد معاني الاستواء دون أن يذكر في واحد منها: الاستيلاء.. وبنحوه قال الأخفش ونص عبارته كما في اجتماع الجيوش: "استوى، أي: علا، يقال: (استويتُ فوق الدابة وعلى ظهر البيت)، أي: علوته".

وقال الأزهري صاحب (تهذيب اللغة) ت٣٧٠، فيما نقله عنه الذهبي: "الله على العرش، ويجوز أن يقال في المجاز: هو في السماء لقوله: (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) الملك/١٦)"، فجعل استواءه تعالى على عرشه، تفسيراً للآية؛ بعد أن حمل الاستواء على حقيقته وظاهره.

رابعاً: وللإمام الخطابي أحد أئمة اللغة ت٣٣٨، فيما ساقه له وأقره عليه أئمة أهل السنة، ما نصه: إن "عادة المسلمين خاصهم وعامهم أن يدعو ربهم

عند الابتهال والرغبة إليه ويرفعوا أيديهم إلى السماء، وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن المدعو في السماء".. قال: "وزعم بعضهم أن الاستواء هاهنا بمعنى: الاستيلاء، ونزع فيه إلى بيت لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله، ولو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة، لأن الله قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء.. ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل: استولى عليه، فأي منع كان هناك حتى يوصف سبحانه بالاستيلاء بعده؟".

خامساً: أن لأهل اللغة وأئمة الهدى كل الحق فيما ذهبوا إليه، فما يكون (استيلاء) إلا بعد مزايلة المستولي المستولَى عليه ومفارقته، كما يقال: (استولَى عثمان على خراسان) و(استولى عبد الملك بن مروان على بلاد المغرب)، قال النابغة:

ألا لمثلك أو مَن أنت سابقه

سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأمَد

فجعل الجواد مستولياً على الأمد بعد مفارقته له وقطع مسافته.. كما لا يكون (استواء) إلا بعد مجاورة الشيء الذي يُستوي عليه كما في قوله: (وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ) هود/٤٤)، وقوله: (فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ) المؤمنون/٢٨)، وهكذا في جميع موارده في اللغة التي خوطبنا بها.. وعليه فلا يصح أن يقال: (استوى على الدابة والسطح) إذا نزل عنهما، ولا: (استولى) إذا علاهما، وإلا فكل من ركب باخرة أو قطاراً أو طائرة أو علا بناء أو حتى استقل دابة لغيره، أصبح مالكاً لها مستولياً عليها.

سادساً: أن مادة (الاستواء) نفسها وإن كانت واحدة، إلا أنها تتنوع بتنوع صلاتها وقيودها كما تتنوع دلالة الفعل بحسب مفعولاته وما يصاحبه من أداة نفي أو استفهام أو نهي أو إغراء، فيكون له عند كل أمر من هذه الأمور دلالة خاصة.. كما أن دلالة اللفظة في سياق جملة ما، يختلف عن دلالتها في سياق أخرى، لكون التركيب يُحدث للمركب في كل حالة مخالفة.. وأيضاً فإن دلالة الاستيلاء التي قال به المؤولة في حق الله، لم يحدث أن جعلها العرب حقيقة في الاستواء، والقول بغير هذا مجاهرة بالكذب، وعليه فاستدلال القائلين به بقول الأخطل النصراني:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف أو دم مهراق

استدلال خاطئ وفي غير محله، لأنه إن صح نسبته وعدم تحريفه، كان حجة على المستدل به، لكونه على حقيقة الاستواء لا الاستيلاء، فإن (بشراً) كان أخا (عبد الملك بن مروان) وما كان ينازعه الملك، وإنما كان أميراً على العراق من قِبَل أخيه ووالياً عليها من جهته، فلما كان نائباً عنه، استقر واستوى على سريرها، كما هو عادة الملوك ونوابها، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة، ولو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك، لكان المستوي على العراق في حقيقة الأمر هو: (ابن مروان) وليس أخاه (بشراً) المقول في حقه هذا البيت.

سابعاً: أنه إذا دار الأمر بين تحريف لغة العرب وحمل لفظها على معنى لم يُعهد استعماله فيه، وبين حمل المضاف المألوف حذفه كثيراً، كان الحمل على حذف المضاف أولى، وبيت الأخطل كذلك، إن حملناه على حذف المضاف وتقدير: (قد استوى بشر على سرير العراق) حملناه على معهود مألوف، فإنهم يقولون: (قعد فلان على سرير الملك)، فيذكرون المضاف إيضاحاً وبياناً، ويحذفونه إيجازاً واختصاراً، وهذا أقرب إلى لغة القوم من تحريف كلامهم وحمل لفظ على معنى لفظ آخر لم يُعهد استعماله فيه.

ثامناً: أن لو كان مراد البيت: استيلاء قهر وملك، لتأتى أن يكون نواب الملوك حين استوائهم على عروشهم بإذن منهم قد فعلوا ذلك رغماً عن أنوف ملوكهم، والأمر -كما مرّ بنا- على خلاف ذلك، ولا زلنا نرى نواب الملوك تفعل هذا بإذن من الملوك ويقال لهم: (استووا على عروش بلادهم)، وهذا هو المطابق للبيت وليس كما يدّعي الأشاعرة؛ ومن ثم لا يصح الاستدلال به على تأويل الاستواء في آي التنزيل.

تاسعاً: أنه لا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها أو بينه وبينها كثير: (إنه قد استوى عليها)، فلا يقال مثلاً: (استوى أبو بكر على الشام)، ولا (استوى عمر على مصر والعراق)، ولا قال أحد قط: (استوى رسول الله على اليمن)، مع أنهم استولوا على هذه البلاد، ولم يزل الشعراء يمدحون الملوك والخلفاء بالفتوحات ويتوسعون في نظمهم واستعاراتهم، فلم يُسمع عن قديم منهم ولا مُحدَث أنه مدح أحداً أنه استوى على البلد الفلاني.. ما يؤكد أن الاستيلاء ولو بمغالبة ليس بلازم لمعنى الاستواء أبداً وفي كل موضع، فكيف بالعكس؟!.

عاشراً: أن ما سبق يؤكد أن (الاستيلاء) و(الاستواء) في الأصل لفظان متغايران ومعناهما مختلفان، ولكل موضعه ودلالته، ولأجل ذا ووفاء بحق السياق في آي استواء الله على عرشه، لا يصح أن يقال في: (استوت السنبلة على ساقها) و(استوت السفينة على الجودي) و(استوى الرجل على السطح): (استولت) أو (استولى).. ولو كان الاستواء في حق الله بمعنى الاستيلاء ورديف القهر والملك، لجاز أن يقال لمن استولى على بلدة: (استوى على ابن آدم وعلى الجبل والبحر والشجر والدواب)، لكونه مالكاً لكل ذلك، وهذا لا يطلقه مسلم..

وعليه فحمل أحدهما على الآخر دوماً كما يفعل الأشاعرة تبعاً للجهمية؛ إن ادَّعوا أنه بطريق الوضع فكذب ظاهر، فإن العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة؛ وإن كان بطريق الاستعمال في لغتهم فكذب أيضاً، فإنه وبتتبع لفظ (استوى) ومواردها في القرآن والسنة وكلام العرب، لم توجد في موضع واحد بمعنى الاستيلاء، اللهم إلا أن يكون ذلك البيت المصنوع المختلق، ومن ثم فلا يجوز أن يُحمل عليه كلام غيره من الناس فضلاً عن كلام الله وكلام رسوله.

حادي عشر: أن القائل بأن (استوى) في الآيات الواردة في حق الله بمعنى (استولى)، شاهد على الله أنه أراد بكلامه هذا المعنى، وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها، بل هي تقوُّل على الله بغير علم.. بخلاف من أخبر عن الله أنه أراد الحقيقة والظاهر، فإنه شاهد بما أجرى الله عادته من خطاب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها، كما قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ (إبراهيم/٤).

وعليه فإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوماً كان هو المراد، لكون الخطاب بلسانهم، وهو المقتضي لقيام الحجة عليهم، ولو أريد ذلك المعنى المجازي لذكر في اللفظ قرينة تدل عليه، فإن المجاز إن لم يقترن به قرينة كانت دعواه باطلة، لأنه خلاف الأصل ولا قرينة معه.. وليس في موارد القرآن والسنة موضع واحد اقترنت به قرينة تدل على المجاز، فكيف إذا كان السياق يقتضي الحمل على الحقيقة وبطلان ما ذكر من المجاز؟.. وكيف إذا دلت القرائن التي تفيد القطع بأن الاستواء على حقيقته من مثل اقتران الاستواء بحرف (على)، وعطف فعله بـ (ثم) على خلق السموات والأرض، وكونه بعد أيام التخليق، وكونه سابقاً في الخلق على السموات والأرض؟.

ثاني عشر: أن الإتيان في الآيات التي ورد فيها الاستواء بعد خلق السماوات والأرض، بـ (ثم) التي حقيقتها: الترتيب والتراخي، دال كذلك على أن المراد بالاستواء على العرش: (العلو والارتفاع) بحيث لا يحتمل معنى آخر، إذ لو كان المراد به الاستيلاء عليه كما يزعم الأشاعرة، لما تأخر ذلك إلى ما بعد خلق السموات والأرض، لأنه كان مستولياً على العرش قبل خلقهما، كما أن قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾(هود/٧)، بضميمة ما في الصحيحين من (أن الله تعالى قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء)، بيان بأن العرش كان موجوداً قبل خلقهما بخمسين ألف عام، فكيف يجوز أن يكون غير مستولٍ على العرش إلى أن خلق السموات والأرض؟!.

ثالث عشر: أن ما ذكر يُعد قرينة على حمل لفظ (استوى) على حقيقته، فإن قيل: ألا يمكن أن تُحمل الأداة (ثم) على معنى الواو لنجردها من معنى الترتيب، وتُحمل كلمة (استوى) على المجاز أو الاشتراك اللفظي.. قيل: هذا خلاف الأصل والحقيقة، ثم إنكم بذلك تكونون قد أخرجتم لفظ (استوى) عن حقيقته ولفظ (ثم) عن حقيقته، وركبتم مجازات بعضها فوق بعض، دون القرينة التي تشترط لذلك أو الدليل الذي يقام لهذه الدعوى، بل ومع وجود القرائن الدالة على حمل اللفظين على الحقيقة والظاهر والأدلة القاطعة على ذلك والأوجه غير المحتملة لسواهما، فيكون هو الأولى بالصواب من الأوجه المحتملة.

رابع عشر: أن استواء الرب على عرشه، المختص به، الموصول بالحرف (على)، المعرف باللام، المعطوف، المطرد في موارده العدة على أسلوب ونمط واحد، نص في معناه لا يحتمل سواه البتة!.. وأن مطلق أيِّ لفظ؛ يدل على: معناه المشترك، واختصاصه واقترانه بالصلة قرينة معيَّنة..

وعليه فاقتران (استوى) بالحرف (على) دال على (الاعتدال) بلفظ الفعل -تقول: (سوَّيتُه فاستوى) كما يقال: (عدَّلته فاعتدل)، فهو مطاوع الفعل المتعدي- وعلى (العلو) بالحرف الذي وُصل

به، وإذا اقترن بالحرف (إلى) دل على (الاعتدال) بلفظه وعلى (الارتفاع قاصداً لما بعد حرف الغاية) بواسطتها.. فزال الاشتراك والمجاز ووضح المعنى وأسفر صبحه.. وليس الفاضل من يأتي إلى الواضح فيُعقّده ويعمّيه، بل من يأتي إلى المشكل فيوضحه ويبينه.. ولا أبين من كلام الله، وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم.

خامس عشر: أن لفظ (الاستواء) بمعنى: (الارتفاع) قد اطرد في القرآن والسنة، ولو كان معناه (استولى) لكان استعماله في أكثر مواضعه كذلك فإذا ما جاء موضع أو موضعان بلفظ (استوى) حمل على معنى (استولى) لأنه المألوف المعهود، أما أن يؤتى إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيُدّعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يُعهد فيه، فهذا غاية الفساد ولم يقصده ويفعله مَن قصد البيان، هذا إذا كان في السياق ما يسوّغ حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأباه؟.

سادس عشر: أن تفسير الاستواء في آي التنزيل بالاستيلاء، أو إخراجه عن حقيقته المعلومة التي صرح بها الإمام مالك في عبارته المشهورة، أو جعله مجازًا عنه، هو بمثابة نقل لفظة مكان لفظة بل هو أنكى، وهذا مما يعلم أنه مُناقض لما أخبر الله به ورسوله، بل هو من تحريف الكلم عن مواضعه، إذ من المعلوم أن التحريف نوعان:

تحريف للفظ؛ وهو: العدول به عن جهته إلى غيرها إما بزيادة وإما بنقصان وإما بتغيير حركة إعرابية وإما غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع، وقد سلك فيها الجهمية والرافضة فعجزوا.

وتحريف للمعنى؛ وهذا الذي صالوا فيه وجالوا، وتوسعوا في شأنه وسموه (تأويلاً)، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يُعهد به استعمال في اللغة، عدلوا لأجله بالمعنى عن وجهه وحقيقته وأعطوا من خلاله اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من هؤلاء من وجه وهؤلاء شر من وجه، فإن أولئك عدلوا باللفظ والمعنى جميعاً عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، وهؤلاء وإن تركوا اللفظ على حاله إلا أنهم بإفسادهم المعنى كانوا أكثر شراً، لأنهم لما أرادوا المعنى الباطل ورأوا أن العدول به عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه -حتى قال قائلهم: (لو وجدت سبيلاً لحكها من القرآن، يقصد: استوى، لحككتها)- حرَّفوا له لفظاً يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى وليسلم لهم التحريف بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف.

سابع عشر: أن الأمة كلها من يحفظ القرآن ومن لا يحفظه، تعلم بالضرورة أن الرسول أخبر عن ربه بأنه استوى على عرشه، وهذا المعنى عندهم كما قال مالك وأئمة السنة: (معلوم غير مجهول) تماماً كـ(السمع والبصر) وسائر ما أخبر به عن نفسه -وإن كانت كيفيته غير معلومة للبشر، فإنهم لم يُخاطبوا بالكيفية ولم يُرَد منهم العلم بها- وعليه فإخراج الاستواء عن حقيقته المعلومة، كإنكار ورود لفظه بل أشد، وهذا مما يعلم أنه مناقض لما أخبر الله به ورسوله.

ثامن عشر: أن اللفظ، إنما يراد لمعناه ومفهومه، فالمعنى هو المقصود بالذات واللفظ مقصود التعريف بالمراد، فإذا انتفى المعنى وكانت إرادته محالاً لم يبق في ذكر اللفظ فائدة، بل كان تركه أنفع من الإتيان به، لكون هذا الإتيان قد حصل منه إيهام المحال والتشبيه وأوقع الأمة في اعتقاد الباطل، ولا ريب أن هذا إذا نسب إلى آحاد الناس كان ذمه أقرب من مدحه، فكيف يليق نسبته إلى من كلامه هدى وشفاء وبيان ورحمة؟.

تاسع عشر: أن من كان كلامه كذلك، لا يجوز أن يتكلم بشيء ويعني به خلاف ظاهره، اللهم إلا إذا كان في السياق ما يدل على ذلك، وإلا أوقع ذلك في اللبس واعتقاد الخطأ، فكيف إذا كان مع ظاهره في القرآن ما ينفي إرادة غيره؟!.

العشرون: أن تفسير (استوى) في الآي بـ(استولى)، هو من التفسير بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صحابي ولا تابعي، وعليه ينسحب حديث: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار).. كما أن إحداث قول في تفسير كتاب الله كان السلف والأئمة على خلافه، يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أن القول المحدث هو الأولى بالغلط والخطأ من قول السلف.

وبعد: فهذا قليل مما تيسر ذكره.. وإلى لقاء.. والحمد لله رب العالمين.

إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

أنواع الغضب

الغضب المحمود

الحلقة الثالثة

إعداد: د. ياسر لعي عبد المنعم
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
ذكرت لك في المقال الأول أن الغضب كارثة على الصحة البشرية، وهو من أكثر المشاعر السلبية التي تُصيب الإنسان عند شعوره بعدم الرضا من أمر ما، أو عند الانزعاج من أحد المواقف، وهو نقيض الرضا، ويرافق الغضب تهيج واحمرار في الوجه مع البكاء أو الرغبة فيه في معظم الأحيان- عند النساء- وعندما يغضب الإنسان يثور كالبراكين ويُفقده الغضب القدرة على التحمل والتفكير.

ففي المقال الأول كمقدمة لهذا الموضوع تكلمنا عن أن شريعتنا الغراء لم تدع شيئاً في هذه الحياة الدنيا إلا وأرشدتنا إلى كيفية التعامل معه، والاستفادة القصوى من منافعه، واجتناب أضراره والبعد عنها، كالغضب مثلاً الذي منه المحمود والمذموم، ومذمومه يعود على النفس والمجتمع بالدمار والهلاك بتفكك نسيج الأسرة الواحدة جراء ضرر هذا الأمر، وقد أخبرنا الشارع الحكيم من خلال الكتاب والسنة بالحلول النافعة التي لو اتبعناها ما غضبنا، أو على أقل تقدير أحسنا إدارة غضبنا انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار» (أخرجه ابن ماجه: ٢٣٤١).

وتكلمنا في المقال الثاني عن طبيعة الغضب وخلصنا إلى أن الغضب تصرف لا شعوري وانفعال يهيج الأعصاب، ويحرك العواطف، ويعطل التفكير، ويُفقد الاتزان، ويَزيد في عمل القلب، ويرفع ضغط الدم؛ وبذلك يزداد تدفقه على الدماغ، وتضطرب الأعضاء، ويظهر ذلك بجلاء على ملامح الإنسان فيتغير لونه، وترتعد فرائصه، وترتجف أطرافه، ويخرج عن اعتداله، وتقبح صورته، فإن لم يكبح جماح نفسه تفلت لسانه، فنطق بما يشين من الشتم والفحش، وامتدت يده لتسبقه إلى الضرب والعنف، وربما القتل بما يندم عليه ولات ساعة مندم.

أنواع الغضب

أولاً: الغضب المحمود:

هو المطلوب؛ أي المندوب، المتعبد به؛ وهو ما كان لله تعالى، وهذا من الإيمان أو من أعمال الإيمان، والتكاسل عنه أو التغافل نقصان في الإيمان، بحيث يغضب المرء ويغتاظ عند ما تنتهك حرمات الله، كذلك مطلوب أن يغضب العبد على أعداء الله؛ من الكفَّار، والمنافقين،

والطُّغاة، والمتجبِّرين، وقد ذكر القرآن ذلك للرُّسل الكرام في مواضع عديدة، ووردت أحاديث كثيرة تدل على أن النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله عز وجل، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (التوبة: ٧٣).

وفي قوله تعالى حكاية عن موسى: «مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» (طه: ٩٢- ٩٣)، وقال تعالى عن موسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بعد علمه باتخاذ قومه العجل: «وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (الأعراف: ١٥٠).

فكانت تلك الحدَّة منه، والغَضَب فيه صفة مدح له؛ لأنها كانت لله وفي الله، كما كانت رأفة النَّبي صلى الله عليه وسلم ورحمته في الله ولله، ثم كان يغضب حتى يحمرَّ وجهه، وتنتفض عروقه لله وفي الله، وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الفتح: ٢٩)، وقال تعالى: «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ» (المائدة: ٥٤).

قال الباجي: (وأمَّا فيما يعاد إلى القيام بالحق، فالغَضَب فيه قد يكون واجباً، وهو الغَضَب على الكفار والمبالغة فيهم بالجهاد، وكذلك الغَضَب على أهل الباطل، وإنكاره عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوباً إليه، وهو الغَضَب على المخطئ؛ إذا علمت أنَّ في إبداء غضبك عليه ردعاً له، وباعثاً على الحق، وقد روى زيد بن خالد الجهني، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا سأله رجل عن ضالة الإبل... وقال: «ما لك ولها». وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا شكا إليه رجل معاذَ بن جبل، أنَّه يُطوِّل بهم في الصلاة). (المنتقى شرح الموطأ- الباجي ٧/٢١٤).

أما غضب النبي صلى الله عليه وسلم فلا يُعرف إلا أن تنتهك محارم الله- تعالى- فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل. (أخرجه مسلم: ٢٣٢٨).

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حَبّ الرمان من الغضب فقال: «بهذا أمرتم؟ أو لهذا خُلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم» فقال عبدالله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه. (أخرجه ابن ماجه: ٨٥).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: أتى رجل النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، قال: «فقال يا أيُّها الناس، إنَّ منكم منفِّرين، فأيُّكم ما صلى بالنَّاس فليتجوز فإنَّ فيهم المريض، والكبير، وذا الحاجة». (أخرجه البخاري: ٦١١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: بينما يهوديٌّ يعرض سلعة له أُعطي بها شيئاً، كرهه أو لم يرضه، قال: لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهوديُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أبا القاسم، إنَّ لي ذمَّة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمَ لطمت وجهه؟ قال: قال يا رسول الله: والذي اصطفى موسى

عليه السلام على البشر، وأنت بين أظهرنا؛ قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتَّى عُرف الغَضَبُ في وجهه.
ثمَّ قال: لا تفضِّلوا بين أنبياء الله، فإنَّه ينفخ في الصُّور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلاَّ من شاء الله، ثمَّ ينفخ فيه أخرى، فأكون أوَّل من بُعث، أو في أوَّل من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطُّور، أو بُعث قبلي، ولا أقول: إنَّ أحداً أفضل من يونس بن متَّى عليه السلام. (أخرجه البخاري: ٣٤١٤).
عن أبي قتادة رضي الله عنه، أنَّه قال: «رجل أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رأى عمر رضي الله عنه غضبه، قال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّد نبيّاً، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فجعل عمر رضي الله عنه يردِّد هذا الكلام حتَّى سكن غضبه». (أخرجه مسلم: ١١٦٢).
وعن أبي سعيد الخدري قال: كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرِها، فإذا رأى شيئاً يكرهه، عرفناه في وجهه، ولما بلَّغَه ابنُ مسعود قَولَ القائل: هذه قسمةٌ ما أُريد بها وجهُ الله، شقَّ عليه صلى الله عليه وسلم، وتَغيَّر وجهه، وغَضِبَ، ولم يَزِدْ على أنْ قال: قد أُوذِيَ موسى بأكثر من هذا فصبر. (أخرجه البخاري: ٦١٠٢).
وكثيراً ما تُنتهك محارم الله تعالى في هذا الزمان عَلناً وسراً، فكثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لا همَّ لها سوى نشر الرذيلة، ومحاربة الفضيلة، وإشاعة الفاحشة، وبث الشبهات، وتزيين المنكر، وإنكار المعروف، والاستهزاء بالدين وشعائره، وحكومات ترفض أن تحكم شرع الله وأشخاص لدين الله كارهون، فهذا كله وغيره مما يوجب الغضب لله- تعالى- وهو من الغضب المحمود، ويُعد علامة على قوة الإيمان، وهو ثمرة لحفظ الأوطان، وسلامة الأبدان، وتظهر ثمرة الغضب هنا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرد على الشبهات أما السكوت المطبق مع القدرة على التغيير فسبب للهلاك. فعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»- وحَلَّق بإصبعه وبالتي تليها- قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثُر الخبث». (أخرجه البخاري: ٣٤٠٢).
نعم كثُر الخبث من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، وتدمير للبلدان بلا حق.
الخلاصة:
قم وانتفض، اغضب غضباً شرعياً غضباً يليق بك وبدينك دون إفساد ودون معصية، اغضب بصوتك، اغضب بوجهك، اغضب بقلبك، اترك المجلس، أومئ برأسك، أغمض عينيك، تأفف، أرسل رسالتك للجميع أنك غضبان قد تمعر وجهك.... انُتهكت الحرمات ولن أجلس معكم لأنكم خضتم في الدين، وسخرتم من الشرع؛ لأنكم سخرتم من أهل الدين؛ واتخذتم آيات الله هزواً
قال تعالى: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا » (النساء: ١٤٠).
هذا ما تيسر ذكره في الباب، والله أسأل أن يحفظكم بحفظه، وأن يبارك فيكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نلتقي الشهر القادم إن شاء الله مع باقي أنواع الغضب.
هذا، وصَلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظرات في كتاب الترغيب والترهيب ومختصر الحافظ له

الحلقة الأولى

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فهذه نظرات في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري رحمه الله تعالى، ومختصره للحافظ ابن حجر.

وهو كتاب مبارك لا يستغني المسلم عنه فضلاً عن الداعية، وكذا مختصره للحافظ شهاب الدين أبي الفضل المعروف بابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى، فأحببت أن أذكر نتفًا من منهج الحافظ المنذري فيه، وكذا من منهج الحافظ ابن حجر في اختصاره تكون منبهة لمطالعه، وسأذكر في هذه العجالة أهم طبعات مختصره خاصة.

كتاب: الترغيب والترهيب:

جمعه الحافظ: أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري (المتوفى: ٦٥٦ هـ).

وهو مؤلَّف حرص مؤلفه فيه على جمع الأحاديث الواردة في الترغيب، والترهيب على وجه الاستيعاب من جمهور كتب السنة، وسماه بـ: الترغيب والترهيب.

والترغيب: على وزن تفعيل مثل: تعظيم، تفسير، تصديق، مصدر للفعل: رغَّب، على وزن فعَّل مثل: عظَّم، فسَّر، صدَّق. وهذا الوزن غالب معانيه تأتي للتكثير، والتعدية.

والرغب: السَعة في الشيء، قال تعالى: « وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا» (الأنبياء: ٩٠)، فإذا قيل: رَغِبَ فيه وإليه ؛ يقتضي الحرص عليه، قال تعالى: «إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ » (التوبة: ٥٩).

فالترغيب: كل ما رغب المكلف في الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه.

والترغيب: ينتج عنه الرجاء، أو الترجية، والترجية مؤدية إلى المحبة، وطمأنينة النفس.

والترهيب: على وزن تفعيل مثل: تهذيب، تكسير، تمزيق، مصدر للفعل: رهَّب، على وزن: فعَّل مثل: هذَّب، مزَّق، كسَّر. وهذا الوزن غالب معانيه تأتي للتكثير، والتعدية.

والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب قال تعالى: « لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ » (الحشر: ١٣)، وقال: «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ » (القصص:٣٢).

والترهيب: كل ما يخيف المكلف، ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

فالترهيب: ينتج عنه الخوف، أو التخويف، والتخويف مؤدٍ إلى المراقبة، والحذر من العقاب. والخوف، والرجاء هما جناحا المكلف، والتوكل عماده، والتقوى لا تتحقق إلا بذلك.

ولذلك فالكتاب والسنة مملوءان بنصوص الوعد والوعيد.

والترغيب الوارد في الوحيين ثلاثة أنواع:

الأول: الترغيب في تحصيل رضا الله، ومحبته، والقرب منه.

وهذا حال السابقين، فيكفي في حالهم ذكر الطاعات، ليرغبوا في فعلها، والتزامها؛ لأنها مرضاة للرب، وتحصيل لمحبته، والقرب منه، وان لم يكن عليها ثواب، فكيف به. الثاني: الترغيب بتحصيل الدرجات العلى من الجنة، وصحبة النبيين، والصديقين، والشهداء، وهذا كسابقه.

الثالث: الترغيب في تحصيل الثواب، وتكثير الحسنات، وتحصيل البركات.

وهذه الأنواع الثلاثة مذكورة في الكتاب:

- فمن أمثلة النوع الأول: حديث: (إن الله فرض عليكم الحج فحجوا).

- ومن أمثلة النوع الثاني: حديث: (إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول).

- ومن أمثلة النوع الثالث: حديث: (إن صدقة المسلم تزيد في العمر).

و الترهيب الوارد فيهما ثلاثة أنواع:

الأول: الترهيب من سخط الله، والحرمان من رضوانه، وهو خوف السابقين.

الثاني: الترهيب من فوات الثواب، وحبوط الصالحات.

الثالث: الترهيب من عذاب الله الدنيوي والأخروي، وهو ملازم لقلب المسلم.

وهذه الأنواع الثلاثة مذكورة في الكتاب:

- فمن أمثلة النوع الأول: حديث: (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه).

- ومن أمثلة النوع الثاني: حديث: (من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عُذرٌ، قالوا: وما العُذر؟، قال: خوف، أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التي صلى).

- ومن أمثلة النوع الثالث: حديث: (إذا ظهر الزنا، والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله.)

منهج المصنف في جمع نصوص الكتاب:

- قد جمع فيه الحافظ المنذري على وجه الاستيعاب ما تفرق من أحاديث الترغيب والترهيب في الكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن النسائي الكبرى، وعمل اليوم والليلة له، ومعاجم الطبراني الثلاثة، ومسند أبي يعلى، ومسند أبي بكر البزار، وصحيح ابن حبان، والمستدرك على الصحيحين، وغيرها من كتب السنة.

- وكان عمله على وجه الاستيعاب لما ورد في الكتب الستة، وموطأ مالك، وصحيح ابن حبان، والمستدرك.

- ولا يترك شيئًا من هذه الكتب إلا لشدة ضعفه أو نكارته، أو وضعه، أو لذهول عنه.

- إذا كان الحديث في الكتب الستة فلا يعزوه لغيرها، إلا لفائدة.

- إن كان الحديث عن جماعة من الصحابة- رضوان الله عليهم- بألفاظ متقاربة، فإنه يكتفي بأحدها عن سائرها.

- عدد أحاديث الكتاب: ٥٧٦٦ حديث، فهو من أكبر كتب الترغيب والترهيب.

- عدد أحاديث الترغيب والترهيب التي فيه، وهي في الصحيحين أو أحدهما: ١٠٠٠ حديث، كما في كتاب: إتحاف المسلم بما ورد في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري، ومسلم، ليوسف بن إسماعيل النبهاني، فهو مستلّ منه.

- الكتاب مرتب على الأبواب بدأ فيه بكتاب: الإخلاص، وانتهى بكتاب: صفة الجنة والنار.

- عدد كتبه: ٢٥ كتابًا، وكل كتاب مقسم إلى أبواب، وبعض الأبواب مقسمة إلى فصول.

فائدة:

المنذري قد يكرر الحديث في أكثر من باب للمناسبة، وقد أحصى النبهاني من مكرراته في الصحيحين أو أحدهما دون غيرهما- لأن هذا هو موضوع كتابه: إتحاف المسلم بما ورد في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم- نحوًا من ستين حديثًا.

- ختم الحافظ المنذري الكتاب بما ختم به البخاري صحيحه، فقال: «ولنختم الكتاب بما ختم به البخاري رحمه الله كتابه، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ».

- قدم المصنف بين يدي كتابه فهرستًا لكتبه، وأبوابه؛ ليسهل الأمر على المراجع في كتابه.

- المنذري- رحمه الله تعالى- يحكم على الحديث بعد ذكره غالبًا بالرد، أو القبول، وكان من منهجه التساهل في رواية الحديث في فضائل الأعمال إذا لم يشتد ضعفه إذا ثبت أصل العمل.

- وقد ختم كتابه بباب في الرجال المختلف فيهم الذين ذكروا في هذا الكتاب، وقد رتب الأسماء على حروف المعجم، ثم ذكر الكنى.

- صنف المنذري كتابه هذا من حفظه، وهو مغترب في غيبة كتبه، وقد نص على ذلك في نهاية كتابه قال: «وقد تم ما أرادنا الله به من هذا الإملاء المبارك، ونستغفر الله سبحانه مما زل به اللسان، أو داخله ذهول أو غلب عليه نسيان؛ فإن

كل مصنف مع التؤدة والتأني وإمعان النظر وطول الفكر، قل أن ينفك عن شيء من ذلك، فكيف بالملي مع ضيق وقته، وترادف همومه، واشتغال باله، وغربة وطنه، وغيبة كتبه».

ما ينتقد على الكتاب:

أولاً: لا يوجد كتاب إلا ويعتوره النقص في جانب من الجوانب، ومن جدَّ في طلب الزلل وجد، ومن تغاضى للمحبة عنه، لم ير الداهية، وإن كانت بين يديه بادية، والإنصاف عزيز، وقلَّ أن تجد من سلم من حظ النفس.

ثانيًا: من أهم ما انتقد على الحافظ المنذري في كتابه:

- إيراده لكثير من الأحاديث شديدة الضعف، بل والموضوعة، وإن كان هو ينبه على كثير من ذلك في نقده.
- عدم استيعابه لكثير من أحاديث الترغيب والترهيب التي هي على شرطه في الكتب التي أخذ منها.

وهذان الانتقادان لا ينقصان من قدر الكتاب وأهميته شيئًا.

عناية أهل العلم بالكتاب:

قد لقي الكتاب عناية أهل العلم قديمًا وحديثًا لنفاسته، فاختصره بعض أهل العلم، وخرج أحاديثه، أو علق عليه بعضهم، وشرحه آخرون.

من مختصراته:

- التيسير والتقريب إلى الترغيب والترهيب: لشمس الدين محمد بن عمار المالكي (المتوفى: ٨٤٤ هـ).
- التقريب إلى الترغيب والترهيب: لمحمد بن أبي بكر بن موسى الديري الصفدي (المتوفى: ٨٦٢ هـ).

وقد طبع بتحقيق: محمد عصام مراد، د. مصطفى ديب البغا، طبع مكتبة اليمامة. إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخاري ومسلم: ليوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعةِ الأولى ١٩٩٣ م، وقد طبعته المكتبة العصرية- بيروت- لبنان.

وقد جمع فيه المؤلف ألف حديث جاءت في الترغيب والترهيب من الصحيحين، أو أحدهما، من أصله للإمام المنذري، والمكررات التي في الكتاب ستين حديثًا.

- مختصر الترغيب والترهيب: للحافظ ابن حجر، وسيأتي الكلام عليه.
- تهذيب الترغيب والترهيب: لحمد يحيى أمان بن عبد الله الكتبي الحنفي المكي (المتوفى: ١٣٨٧ هـ).

التعليق عليه وتخريج أحاديثه:

- عجالة الإملاء المتيسرة على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه الترغيب والترهيب: لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الناجي (المتوفى: ٩٠٠ هـ)، طبع بتحقيق: أبي عبد الله حسين عكاشة، ط: مكتبة الصحابة- الإمارات- الشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٨م.
- للشيخ الألباني عليه عملان:

الأول: قسمه إلى قسمين: صحيح الترغيب والترهيب، وضعيف الترغيب والترهيب، وهو كتاب رائق يقع في خمس مجلدات.

الآخر: طبع الكتاب كاملاً بأحكام الشيخ الألباني، والتعليق عليه، بعناية الشيخ الفاضل: مشهور حسن آل سلمان، وقد طبع بمكتبة المعارف- الرياض.

ومن أهم شروحه:

- كتاب: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب: لحسن بن علي بن سليمان البدر أبو محمد الفيومي القاهري الشافعي- إمام جامع الزاهد بالمقسم (٨٠٤- ٨٧٠ هـ).

وهو يقع في ١٣ مجلدًا.

وله صورة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية برقم: (٢٨٧- ٢٩٩)، وأصل المخطوط في الخزانة الملكية بالمغرب.

والكتاب لم يُطبع، ويصلح أن يقسم على أربع رسائل ماجستير، أو دكتوراه، وللمصنف ترجمة في الضوء اللامع للسخاوي (١١١١/٣).

هذا ما يسره الله لي في هذه العجالة ، وللحديث بقية إن شاء الله ، أسأل الله أن يكتب لي فيها وقارئها الأجر، وأن يعفو عن الزلل.

صلح الحديبية بين الرأي والوحي

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي نصر رسوله بالحجة والبرهان كما نصره بالسيف والسنان، وأشهد ألا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ثم أما بعد:

فهذا حديث عن الفتح المبين الذي مهَّد بعون الله إلى فتح خيبر، ثم فتح الفتوح فتح مكة، نعم هذا اللقاء نقف فيه وقفة يسيرة مع صلح الحديبية؛ ذلكم الحدث العظيم في تاريخ السيرة النبوية، ونحن مهما تحدثنا حول هذا الموضوع فلن نسبر غوره، ولن نستقصي الحكمة البالغة منه ويكفي أن الله أنزل بشأنه وفي أعقابه (سورة الفتح)، وقال سبحانه في مطلعها: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا» (الفتح:١، ٢)، ثم قال: «وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا» (الفتح:٣)، وفي هذا إشارة إلى فوائد هذا الصلح، وما ترتب عليه في الحال والاستقبال، ثم قال سبحانه في ختام السورة: «لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح:٢٧)، فسماه الله «فتحًا قريبًا».

وذلك تمهيدًا لفتوح أخرى ستأتي بعده؛ لأن الله هو الذي يتولى التمكين لدينه، لذا قال بعدها مباشرة: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا» (الفتح:٢٨)، وإذا سألت عن هذا الرسول الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله تأتيك الإجابة واضحة مثل الشمس في رابعة النهار في الآية التي بعدها: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ» (الفتح:٢٩)، والتي تبين اسم وأوصاف نبي آخر الزمان الذي لا نبي بعده، وكذلك أوصاف أصحابه الذين اختارهم الله على عينه، وهذه الأوصاف المذكورة في التوراة من قبل كما هي مذكورة في القرآن؛ فاعلموا يا أهل الإسلام.

ثانيًا: متى كانت البداية

الآن وبعد هذا التمهيد أو التقدمة نشرع في المقصود بعون الله تبارك وتعالى:

وكانت البداية في العام السادس الهجري وفي المدينة النبوية عندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا (ورؤيا الأنبياء حق) رأى أنه وأصحابه يطوفون بالبيت الحرام في مكة، ومكة هي مهبط الوحي وقد أخرج المشركون النبيَّ والذين آمنوا معه

منها منذ سنوات، وقد اشتاقت نفوس المهاجرين والأنصار على حد سواء إلى رؤية الكعبة المشرفة والطواف حولها، فهي في قلب كل مسلم وهي قبلة المسلمين جميعًا، وقد آلت قريش على نفسها أن تمنع محمدًا والذين آمنوا معه من دخول مكة والطواف حول بيت الله الحرام.

وعندما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا هيّج الشوق في نفوس المسلمين جميعًا، وظنوا أنهم سيطوفون بالبيت ذلك العام، وانتظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى شهر ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم التي تعظمها قريش وتتوقف فيها عن القتال، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من العام السادس الهجري ومعه أربع عشرة مائة (ألف وأربعمائة) من أصحابه الكرام قاصدين العمرة إلى بيت الله الحرام، وهي التي تسمى بعمرة الحديبية.

ثالثا: حبسها حابس الفيل:

خرج النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه من المدينة وساقوا معهم الهدي وأحرموا من ذي الحليفة، وهو ميقات أهل المدينة، خرجوا يريدون العمرة ولا يريدون قتالاً، فلم يحملوا معهم من السلاح إلا ما يحمله المسافر (سيف في غمده)، وانطلقوا إلى مكة فرحين مهللين ومكبرين وعقيدتهم واضحة جلية أنه بيت الله.

وانطلق الركب المسلم يحدوه الشوق ويدفعه الأمل في تحقيق رؤيا النبي، وأن يطوفوا بالبيت العتيق، ولما علمت قريش بمقدم النبي وصحبه عقدوا مجلسًا استشاريًا وقرروا صد المسلمين عن البيت الحرام وأرسلوا خالد بن الوليد على رأس مائتي فارس يرابط بكراع الغميم في الطريق المؤدي إلى مكة لمنع المسلمين وصدهم عن البيت الحرام.

ولما كان هدف المسلمين هو العمرة وليس الحرب أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بتجنب الطريق الذي يقف فيه خالد تحاشيًا للصدام، وسار المسلمون حتى إذا كانوا في الثنية التي يهبط منها إلى مكة، بركت راحلة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الناس- أي الصحابة-: (خلأت القصواء) وهو اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلأت يعني حرنت أي توقفت عن المشي تمرُّدًا منها من غير علة أو سبب ظاهر.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل». أخرجه البخاري. (وهذا نوع من الوحي أوحى الله به إليها).

رابعًا: سعي النبي صلى الله عليه وسلم إلى السلام وحرصه عليه:

الناقة مأمورة وعندما ترفض دخول مكة فهناك أمر ما أراده الله للمسلمين غير دخول مكة وأداء العمرة هذا العام، وقد ألهم الله نبيه الحكمة وفصل الخطاب، فقال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». ثم زجر الناقة فوثبت فعدل بها عن مكة، ونزل بمكان فيه بئر يسمى الحديبية، وهناك عسكر المسلمون في انتظار ما تسفر عنه الأمور، بعون الله ومشيئته.

وهو صلى الله عليه وسلم يعرض عليهم خطة للسلم، ويؤكد لهم أنه وأصحابه ما جاؤوا إلا للعمرة ولا يريدون قتالاً، وقد أخبر كل من جاء من قريش بهذا، بل وأرسل إليهم من يخبرهم بذلك.

خامسا: بيعة الرضوان:

كان ممن بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش للتفاوض معهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان اختيار عثمان لمكانته في قريش، وعندما تأخر عثمان وأُشيع أنه قُتل عندئذ بايع الصحابة كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتال، وكانوا من خيرة الصحابة، وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده مكان يد عثمان في البيعة، ويكفي أصحاب هذه البيعة أن الله مدحهم وأعلن عن رضاه عنهم، فقال سبحانه: «لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح:١٨)، هذا ثناء الله على أصحاب هذه البيعة، وكفى به ثناء، فيا ليت شعري وأسفي على الذين يتجرؤون على سبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم أصحاب هذه البيعة!

سادسا: بدء المفاوضات وكتابة الوثيقة:

خفّت حدة التوتر بعد عودة عثمان بن عفان من

مكة، واتضح أن خبر قتله كان إشاعة كاذبة، وبعدها أرسلت قريشًا سهيل بن عمرو وهو رجل معروف بالحكمة والعقل ليتفاوض مع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ولما رآه النبي صلى الله عليه وسلم استبشر به خيرًا، وقال للصحابة: «سُهل لكم أمركم»، وفعلاً قد تم الصلح وبنوده كالتالي:

١- أن يرجع الرسول ومن معه من المؤمنين عن مكة هذا العام على أن يأتوا في العام القابل فيدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت ويقيموا بمكة ثلاثًا معهم سلاح الراكب- السيوف فقط ولا تتعرض قريش لهم بأي نوع من التعرض.

٢- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤- من أتى محمدًا من قريش من غير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يُرد عليه.

سابعا: موقف الصحابة من بنود الصلح:

جاءت البنود السابقة وقد أصاب الصحابة أو كثيرًا منهم ألم شديد بسبب هذه البنود، وخصوصًا البند الذي يؤجل عمرتهم للعام القابل والبند الذي فيه رد من أتى إلى المسلمين من قريش بغير إذن وليه بردّه إلى وليه، وقد توافق حضور أبي جندل بن سهيل بن عمرو مكبلاً في قيود عليه آثار التعذيب هاربًا من قريش معلنًا إسلامه، وانضمامه إلى المسلمين فصفعه أبوه على وجهه ونَهَرَه وردَّه إلى قريش، ولم يستطع الرسول إلا أن يوصيه بالصبر تنفيذًا لبنود الوثيقة.

فحز هذا المشهد كثيرًا في نفوس المسلمين، لكن الأكثرية لم تستطع التعبير عن رأيها كما فعل عمر رضي الله عنه فقد جاء إلى النبي وقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى. قال عمر: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار. قال: بلى. قال عمر: فلَمَ نعطي الدنية في ديننا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا ابن الخطاب إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ولن يضيعني» قال عمر: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى؛ أخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: فإنك آتيه ومطوّف به.

ولم يكن هناك أحد من الصحابة يفهم هذا الفهم الذي فهمه أبو بكر رضي الله عنه، وقد أوضحه لعمر، فعمر يرى رأيًا قد يصيب ويخطئ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يتبع الوحي الذي لا يخطئ، وهذا هو الفرق بين الرأي والوحي لذا أوصى أبو بكر عمر أن يلزم أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لعمر بعد سماع رأيه ولم يصدّه، ولم يحجر على رأيه؛ فقد أوضح له أنه رسول الله، وأن الله معه ناصره ومؤيده وملهمه الصواب.

ثامنا: رأي سديد:

لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من كتابة وثيقة الصلح بينه وبين قريش أمر الصحابة أن يقوموا ليتحللوا من عمرتهم ويحلقوا رؤوسهم وينحروا الهدي، فما قام أحد، وكأنهم لم يسمعوا، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم سلمة زوجته، غاضبًا حزينًا على أمر المسلمين يخشى عليهم الهلاك إن هم خالفوا أمره، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ يعني: أتحب أنْ يفعلوا ما تأمرهم به؟ أخرج الآن وانحر هديك وادعُ حالقك، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ففعل كما أشارت أم سلمة رضي الله عنها، ولم يكلِّم أحدًا، فلما رأى الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم يفعل قاموا يتنافسون في الفعل اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذبحوا وحلقوا شعورهم ومنهم من قصر شعره.

وهكذا كان للقدوة العملية أثر فعال أبلغ من الأمر النظري، ورحم الله أمنا أم سلمة رضي الله عنها فقد ألهمها الرأي السديد.

وعاد المسلمون إلى المدينة على أن يعودوا إلى مكة في العام القادم إن شاء الله، محلقين رؤوسهم ليطوفوا بالبيت العتيق، كما أشارت سورة الفتح، وبينت أن الله اختار لهم ذلك لحكمة يعلمها سبحانه اتضحت للمسلمين فيما بعد.

والحمد لله رب العالمين.

شبهات حول القراءات

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن مباحث في علوم القراءات، وفي هذا العدد نتناول بعض الشبهات حول القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ » (آل عمران: ٧).

وعليه سنعرض في هذه الحلقة بعض الشبهات التي يثيرها المستشرقون وأعداء الإسلام حول القراءات.

١ - شبهة التعارض والتناقض بين القراءات:

وللرد عليها نقول: إن ما تواتر واشتهر من القراءات لا يعدو الاختلاف بينها نوعين:

الأول: أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى ويرجع ذلك إلى:

أ- اختلاف اللغات: مثل قراءة (الصراط) بالصاد والسين، وقراءة (البخل) بضم الباء وسكون الخاء، وبفتح الباء والخاء. والحكمة في ذلك تيسير التلاوة على ذوي اللغات المختلفة.

ب- وجود وجهين أو وجوه تقع في فصيح الكلام: وهذا وارد في كلام العرب فإنهم يعنون بالمعاني ويأتون بالألفاظ على وجوه ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب مستقيمًا.

مثال ذلك قوله تعالى: « مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ » (الحجر: ٨)؛ قرئ بنونين مع كسر الزاي ونصب (الملائكة) على الإخبار من الله عز وجل؛ لأن كل شيء بإرادته، وقرئ بتاء مفتوحة مكان النون مع رفع (الملائكة) على أنه فعل سمي فاعله، وأضيف الفعل إلى الملائكة؛ لأنها تتنزل بعد أمر الله لها بالنزول، وقرئ بضم التاء مع رفع (الملائكة) على أنه فعل لم يسم فاعله؛ لأن الملائكة لا تنزل من عند نفسها، وإنما يُنزلها الله عز وجل.

مثال آخر: وهو من لطائف إعراب القرآن: قوله تعالى: (وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ) (فصلت: ١٠)، قرئ (سواء) بالرفع والنصب والجر. فأما قراءة الرفع فعلى أنه خبر المبتدأ مضمر أي: هي سواء، والنصب على المصدر بفعل مقدّر، أي: استوت استواء أو على الحال من ضمير(أقواتها)، والجر على النعت لأيام أو لأربعة أي في (أربعة أيام مستوية تامة).

الثاني: أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى معًا مع صحة المعنيين كليهما، فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين

مثال ذلك قوله تعالى: (فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا) (سبأ: ١٩) قرئ بنصب (ربنا) على النداء، و(باعد) بالألف وكسر العين وسكون الدال، و(بعِّد) بكسر العين المشددة بلا ألف ومعنى الكلام: فعل طلب اجتراء منهم وبطرًا، وقرئ (ربنا) بضم الباء على الابتداء، و(باعد) بالألف وفتح العين والدال خبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطًا في الترفه وعدم الاعتداد بنعم الله عليهم.

وحكمة هذا النوع أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعًا.

وأما تضاد المعاني وتضارب الأهداف فلا وجود له في القرآن، قال تعالى: «وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا » (النساء: ٨٢).

قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن): "أما اختلاف التضاد فلا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ، وأما اختلاف التغاير فهو جائز".

٢ - شبهة أن القراءات نشأت بسبب خلو خط المصحف من الشكل والنقط:

فالكلمات القرآنية كتبت في المصاحف مجردة عن النقط الذي يدل على ذات الحرف،

ومن الشكل الذي يدل على موقع الكلمة من الإعراب، فيزعمون أن كل قارئ كان يختار ما يراه في نظره مناسبًا، والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: القراءات مردها الرواية، ومرجعها السماع ولا دخل لأحد من البشر في ذلك، وليست خاصية الخط العربي مدعاة إلى تنوع القراءات، وفي قصة عمر بن الخطاب مع هشام ابن حكيم ما يبين ذلك، في صحيح البخاري (٥٠٤٣) عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسله! اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه: كذلك أنزلت؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه".

ثانيا: لما كتبت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه أرسل مع كل مصحف عالمًا يعلِّم الناس القراءة بما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود من ذلك تقييد ما يحتمله الرسم بالمنقول تواترًا.

ثالثًا: في القرآن كلمات تكررت وكُتبت برسم واحد، ولم يحصل اختلاف القراء إلا في مواضع منها، مثال ذلك كلمة (ملك) رسمت برسم واحد في سورة الفاتحة (ملك يوم الدين)، وفي آل عمران (قل اللهم ملك الملك)، وفي سورة الناس (ملك الناس)، واختلف القراء في موضع الفاتحة فقط.

مثال آخر: فعل (يحزن) قرأه نافع حيث وقع في القرآن بضم الياء وكسر الزاي إلا في موضع الأنبياء (لا يحزنهم الفزع الأكبر)، فقرأه بفتح الياء وضم الزاي، وبعكس هذا قرأ أبو جعفر، فدل ذلك على أن الأصل هو التلقي وليس الرسم المجرد.

٣- شبهة وجود اللحن في بعض القراءات:

وهم لجهلهم بلغة العرب يدّعون هذا على القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، فينتقدون مثلاً قراءة (إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ) (طه: ٦٣) بتشديد النون في (إن) ومجيء (هذان) بالألف مع أن هذه القراءة ثابتة صحيحة وأتت عل وجه فصيح، وهو لغة لبني الحارث بن كعب وغيرهم؛ يلفظون بالمثنى بألف على كل حال، فيقولون جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشد النحويون في ذلك قول الشاعر: (تزود منا بين أذناه طعنة).

وينتقدون قراءة حمزة لقوله تعالى: (وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئْ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ) (فاطر: ٤٣) بإسكان الهمزة في (السيئ) مع أن الجزم لا يدخل الأسماء، قال مكي بن طالب مبينًا وجه هذه القراءة: (وحجة من أسكن أنه استثقل كسرة على ياء مشددة فهي مقام كسرتين، والكسرة ثقيلة وهي على الياء المشددة أثقل، ثم كسرة على همزة والكسر على الهمز ثقيل أيضًا مع ثقل الكسر في نفسه فاجتمع أشياء ثقيلة فأسكن الهمزة استخفافًا)، وقد احتج بعض النحويين لحمزة بقول الشاعر:

فاليوم أشرب غير مستحقب
إثما من الله ولا واغل

فذكر (أشرب) بسكون الباء

ولا ينبغي أن يظن بحمزة رحمه الله أنه فعل ذلك عن رأي من عند نفسه؛ فإنه لم يقرأ حرفًا إلا بأثر، وما من قراءة من القراءات إلا ولها وجه من العربية فصيحًا كان أو أفصح.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء إلى الزميل العزيز الأستاذ مصطفى خليل أبو المعاطي سكرتير تحرير المجلة، وذلك في وفاة شقيقه الأستاذ/ عدنان خليل أبو المعاطي، عضو نقابة الصحفيين. وندعو الله عز وجل له المغفرة والرحمة.

كما تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء للزميل الأستاذ أحمد رجب، المنفذ الفني بالمجلة، وذلك في وفاة والده. وندعو الله تبارك وتعالى أن يشمل الفقيد بالمغفرة والرحمة.

وبمزيد من الحزن والأسى، تحتسب أسرة تحرير مجلة التوحيد، وجماعة أنصار السنة بالمركز العام عند الله تعالى الأخ الحبيب الشيخ حامد عبد الكريم نويجي، من مرسى مطروح، وقد توفي إلى رحمة الله بإذنه تعالى يوم ١٠/٧/٢٠١٧م.

وندعو الله سبحانه أن يتغمده بواسع رحمته، ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

تهنئة

تتقدم مجلة التوحيد بخالص التهنئة إلى الابنة علياء عبد الخالق محمد قمر، وذلك لحصولها على درجة الماجستير، وكان موضوع رسالتها: «تأثير القنوات الفضائية على اتجاهات الناخب المصري بالتطبيق على استفتاء الدستور الجديد».

وقد تكونت اللجنة من كل من:

١- أ.د فرج الكامل، رئيسًا.
٢- أ.د وائل إسماعيل، مناقشًا.
٣- أ.د أماني فهمي، مناقشًا.

وقد أجازت اللجنة الطالبة بتقدير امتياز مع التوصية بتداول الرسالة بين الجامعات.
وأسرة مجلة التوحيد تتمنى للباحثة مزيدًا من التوفيق والنجاح.

تهنئة

في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حول جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وجهودها في الدعوة إلى الله تعالى، حصل الطالب بكر بن عبد الحليم محمود أحمد إبراهيم آل هراس، على درجة الدكتوراه، وذلك تحت إشراف د/ تركي عبد الله السكران، وقد تكونت لجنة المناقشة من كل من:

أ.د حمد بن ناصر العمار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
أ.د عبد الله بن سليمان الغفيلي، كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وجماعة أنصار السنة بالمركز العام، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى للباحث مزيدًا من التوفيق والنجاح.

رئيس التحرير

الآن
المجلد الجديد لمجلة التوحيد
١٤٣٥هـ
سارع بحجز
نسختك من
المجلد الجديد
موسوعة علمية
لايخلو منها مكتبة
ويحتاج اليها
كل بيت
23936517

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد

١٠٠٠ جنيه

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، خمسة وأربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .

مجلدات
مجلدات
مجلدات

بـ ١٠٠٠ جنيه فقط

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

٤٥

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

٨ شارع قولة ـ عابدين
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦